الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي بالوادي

معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم التاريخ

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مملكة مالي الإسلامية (621 – 893 هـ / 1225 – 1488م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعداد الطالبات :
- ✓حليمة تركي
- ✓حنان خو
- ✓نعيمة شابي

إشراف الأستاذ :
- ◆ مبارك جعفري

لجنة المناقشة : 1. بالحاج ناصر رئيسا
2. مبارك جعفري مشرفا ومقررا
3. مختار هواري عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1433 / 1434هـ - 2011 / 2012م

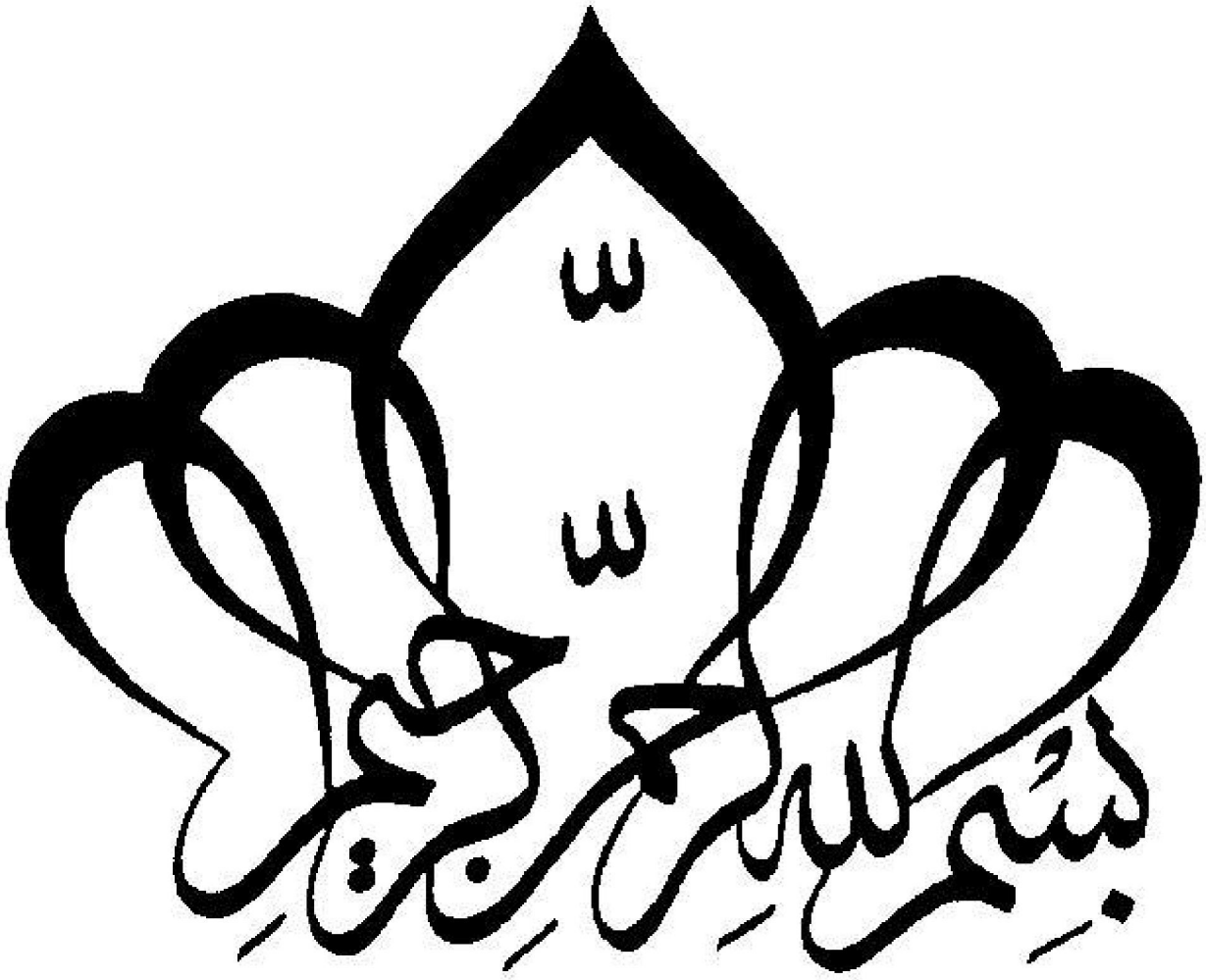
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾
النمل: ١٩

توطئـــــة

اللهم لا تجعلني أصاب بالغرور إذا نجحت ولا باليأس إذا أخفقت وذكرني دائما بأن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

اللهم إذا أعطيتني نجاحا فلا تأخذ تواضعي وإذا أعطيتني تواضعا فلا تأخذ اعتزازي بكرامتي.

آميـــــــــــــــــن

شكـــر وعرفـــان

قال الله : « ولـئـن شكـرتـم لأزيـدنـكم »

فشكره سبحانه وتعالى على ما منه من توفيق في إنجاز هذه المذكرة

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ومـن لـم يـشكـر الـنـاس لا يـشكـر الله ».

فشكر وتقدير وعرفان للأستاذ الفاضل المشرف

"مبارك جعفري"

وإلى كل من قدم لنا يد العون ونخص بالذكر منهم الأستاذين" **ممي لزهر** "

و " **دشري مبارك** "، وإلى كل أساتذتنا

ومن أفادنا من قريب أو بعيد جزاهم الله عنا كل خير.

★نعيمة، حنان، حليمة★

مقـــــــدمة

مقـدمـــة :

1 – تقديم الموضوع :

شهدت منطقة إفريقيا جنوب الصحراء قيام العديد من الممالك الإسلامية، التي كان قيامها نتيجة طبيعية لانتشار الإسلام في هاته المناطق، ومن ثم تأثر السكان بالحضارة العربية الإسلامية في مختلف المجالات، ومنها الجانب الاجتماعي والاقتصادي، ومن بين أكثر الممالك شهرة نجد مملكة مالي الإسلامية التي قامت على أنقاض مملكة غانة الإسلامية. وسنحاول من خلال هاته الدراسة تناول : **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مملكة مالي الإسلامية (621 – 893هـ / 1225 – 1488م).**

2 – الإشكالية :

وقد سعينا من خلال تناولنا لهذا الموضوع الإجابة عن الإشكالية الآتية :

فكيف كانت معالم الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمملكة مالي الإسلامية ؟ وما هي أبرز مميزاتها ؟

وتندرج تحتها عدة إشكالات فرعية منها : ما هو أصل سكانها ؟ وفيما تمثلت عاداتهم وتقاليدهم ؟ وما هو الدور الذي لعبته المرأة داخل المجتمع ؟ وفيما تمثلت مواردهم الاقتصادية ؟ وإلى أي مدى ساهم الاقتصاد في ازدهار مملكتهم ؟ وما طبيعة التغيرات التي أحدثها الإسلام على المجتمع والاقتصاد المالي ؟

3 – دواعي اختيار الموضوع :

لقد تعددت الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع، ويمكن أن نذكر منها النقاط الآتية :

- الإحساس بالانتماء لقارة إفريقيا، ومحاولتنا المساهمة في كتابة تاريخها.
- ملاحظاتنا عند دراستنا لمقياس إفريقيا جنوب الصحراء لقلة التوسع لدى معظم المصادر والمراجع في أوضاع هذه المملكة خاصة في جانبها الاجتماعي.
- التعرف على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية لهذه المملكة، ومحاولة إبراز دور الإسلام على الشعوب والمجتمعات الإفريقية عموما، ومملكة مالي خصوصا.

- اكتشاف بعض خبايا التاريخ الإفريقي عموما، وما تعلق بهذه المملكة خصوصا بهدف التعرف على تاريخ لم يعط حقه عند الباحثين.

4 – المنهج المتبع :

إن المنهج الذي اتبعناه هو المنهج الوصفي التاريخي من خلال سرد لبعض الأحداث التاريخية، ووصف للحياة الاجتماعية والاقتصادية، مع تقديم بعض الملاحظات والتحليلات متى أمكن ذلك.

5 – تقسيمات الموضوع :

وتناولنا الموضوع وفقا للخطة الآتية : **مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تليها ملاحق وفهارس.**

كان الفصل الأول تمهيديا بعنوان مملكة مالي النشأة والتطور، وقد تضمن مبحثين : أولهما بعنوان : التعريف بالمملكة، واندرج تحته مطلبين : الأول بعنوان : أصل التسمية، والموقع الجغرافي، والثاني بعنوان : تأسيس المملكة، في حين تضمن المبحث الثاني : نظام الحكم وأشهر السلاطين، وانضوى تحته مطلبين : الأول بعنوان نظام الحكم والإدارة، والثاني أشهر السلاطين.

لننتقل للفصل الثاني لنبرز فيه الحياة الاجتماعية في المملكة، متضمنا ثلاثة مباحث أيضا أولها : السكان، وقد وضحنا في مطالبه الثلاث أصل السكان، وطبقاتهم الاجتماعية، وطبيعة سكنهم، أما المبحث الثاني فبعنوان : الحياة الأسرية ومكانة المرأة، وانضوى تحته ثلاثة مطالب أيضا، أولها الحياة الأسرية، والثاني تربية الأبناء، والثالث مكانة المرأة، وكان المبحث الثالث بعنوان : العادات والتقاليد، متضمنا ثلاثة مطالب أولها : الأطعمة والأشربة، وثانيها : لباس أهل المملكة واحتفالاتهم في المناسبات، وثالثها : العادات الحسنة والسيئة.

أما فيما يخص الفصل الثالث الذي حاولنا التعريف من خلاله بالحياة الاقتصادية في المملكة، وقد تناولنا فيه الفلاحة بطرقها وأساليب ريها، وأهم المحاصيل الزراعية، والثروة الحيوانية، بالإضافة للصناعة متمثلة في أهم المواد الأولية، وأهم الحرف، كما تطرقنا فيه للتجارة ابتداءً بأهم المراكز التجارية، وذكر البضائع والسلع، لنعرج على أهم الطرق

التجارية، وصولا لنظم التعامل التجاري، لنتوصل بعدها لخاتمة تضمنت النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة.

6 – أهم المصادر والمراجع :

واعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على مجموعة من المصادر والمراجع، كان في مقدمتها : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لابن بطوطة ؛ ويعد من أشهر الرحالة الذين زاروا المملكة، ووصفوها وصفا دقيقا، وصبح الأعشى لأبي العباس أحمد القلقشندي، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، دون أن ننسى من سبقونا في البحث ومنهم الهادي المبروك الدالي في كتابه التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، وأحمد الشكري وكتابه الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230 – 1430م، وبشار أكرم جميل الملاح في بحثه التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الأفريقي من القرن 5 – 9هـ / 11 – 15م.

إلا أن الحال أعجزنا في الوصول للمصادر السودانية التي كان بإمكانها أن تقدم لنا فائدة كبيرة خاصة فيما يتعلق بالجانب السوداني.

7 – الصعوبات : ولقد واجهت البحث عدة صعوبات كان من أبرزها :

- صعوبة الوصول إلى المصادر خاصة المخطوطة.
- قلة المعلومات المكتوبة من قبل المؤرخين والجغرافيين العرب حول هذه المملكة، ولا سيما النواحي الاجتماعية منها.
- عدم الإجماع على منهجية موحدة تمنح أرياحية للباحث.

وفي الأخير نقدم شكرنا لأستاذنا **مبارك جعفري** على مجهوداته المعتبرة، وآرائه السديدة، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجعله ذخرا للأجيال القادمة، كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل لكل من السيدين مسلم الصادق، ودرويش مسعود، اللذين لم يبخلا علينا بما لديهما، فنرجو من الله أن يعطيهما من أوسع أبواب رحمته.

كما لا يفوتنا أن نعتذر عن أي نقص أو خطإ كان في موضوعنا، رغم محاولاتنا الاجتهاد، والإلمام بكافة عناصره، فإن أصبنا فمن الله وحده، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان.

ويبقى اعتقادنا قائما في أن إفادات الأساتذة الأجلاء، وملاحظاتهم سيكون لها الأثر البالغ في إثراء هذه المذكرة، وإجلاء الكثير من الغموض والنقص الذي قد يعتريها.

الفصل الأول : مملكة مالي النشأة والتطور.

المبحث الأول : التعريف بالمملكة.

المطلب الأول : أصل التسمية والموقع الجغرافي.

المطلب الثاني : تأسيس المملكة.

المبحث الثاني : نظام الحكم وأشهر السلاطين.

المطلب الأول : نظام الحكم والإدارة.

المطلب الثاني : أشهر السلاطين.

يعد الجانب السياسي لمملكة مالي، في مقدمة الموضوعات الجديرة بالدراسة – وإن كان ليس محل دراستنا -، لما للسياسة من دور كبير وتأثير بارز على مختلف الجوانب الأخرى، وقد خصصنا هذا الفصل لدراسة الجانب السياسي والإداري، إضافة إلى إبراز بعض التأثيرات العربية الإسلامية في النظام السياسي.

المبحث الأول : التعريف بالمملكة :

المطلب الأول : أصل التسمية والموقع الجغرافي :

- **أصل التسمية :**

اختلف المؤرخون والجغرافيون العرب في كيفية ضبط تسمية مالي ورسم حروفها، فاتفق كل من البكري، وابن سعيد المغربي، واليعقوبي على تسميتها مَلَلْ[(1)]، وكذا الإدريسي، إذ ذكر أنها ؛ عبارة عن مدينة أو قرية صغيرة من مدن لَمْلَمْ[(2)]، وبالنسبة لابن بطوطة والعمري فقد اتفقا على تسميتها مالي[(3)]، ومحمود كعت، والسعدي رسماها على شكل مَلْ أو مَلّيَ[(4)].

وقد وضح القلقشندي كيفية نطقها الصحيح إذ قال : « مالي بفتح الميم وألف بعدها لام مشددة مفخمة وياء مثناة تحت في الآخر »[(5)].

---

(1) أبي عبيد البكري : **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 178. أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي : **كتاب الجغرافية**، تح وتع، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط $_2$، 1982، ص 92. كذلك، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي : **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1379هـ / 1960م، مج $_1$، ص 192.

(2) أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني الإدريسي : **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مج $_1$، ص 19.

(3) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ابن بطوطة : **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ط $_1$، 1322هـ، ج $_2$، ص 237. كذلك، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري : **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا)**، تح، محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى هزايمة، يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2001م، ص 59.

(4) محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت الكرمنى التنبكتي الوعكرى : **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذيله لبعض من حفدته**، المدرسة الباريزية للتدريس، باريس، 1964، ص 38. كذلك، عبد الرحمان عبد الله بن عمران بن عامر السعدي : **تاريخ السودان**، مدرسة اللغة العربية، باريس، 1981م، ص 9.

(5) أبو العباس أحمد القلقشندي : **صبح الأعشى**، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ج $_5$، ص 282.

اشتهرت مملكة مالي عند بعض العرب، خاصة المصريين ببلاد التكرور، ويتضح ذلك من خلال تسميتهم لملوك مالي بملوك التَّكْرُورْ[1]، ونجد هذه التسمية عند العديد من المؤرخين المصريين[2]، إلا أن هذه التسمية خطأ منهم ناتج عن جهلهم بالمنطقة، حيث يوضح العمري أن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكة مالي[3].

هذا وقد اختلفت وتنوعت تسميات شعوب مالي، وذلك حسب لغات ولهجات الشعوب والقبائل المجاورة لهم، فأطلقت عليهم قبائل الفُلاَنِيْ اسم مالي، والبربر مِلِّيتْ، وبلغة الهوسا ونقرا[4]، أما عن أصل تسمية المانديجو فتذكر الروايات أنهم منسوبون إلى ماندي، وهذا اللفظ يعني بلغتهم ؛ المدينة أو العاصمة، وبذلك فهم أهل المدينة أو العاصمة[5]، أما لفظ مالي باللغة الماندية فيعني : « حيث يعيش الملك »[6].

- **الموقع الجغرافي :**

لم يعط الجغرافيون العرب والرحالة ومن جاء بعدهم تحديدا دقيقا لحدود مملكة مالي، غير أن حدودها كانت ضمن البلاد الواقعة جنوب الصحراء، والتي جرت العادة عند الجغرافيين والرحالة العرب بتسميتها بلاد السودان ؛ وهي المنطقة الواسعة الكبيرة، التي يحدها من الشمال أرض البربر، ومن الجنوب البراري، وشرقها الحبشة، والبحر المحيط من الغرب[7]، وتنقسم هذه المنطقة إلى ثلاثة أجزاء، سودان شرقي، وأوسط، وغربي، وبالنسبة لمالي فهي تتموقع في السودان الغربي[8].

---

(1) جلال يحي : **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م، ص 32.

(2) أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى : **كنز الدرر وجامع الغرر**، تح، هانس روبرت رويمر، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، ج 9 وهو الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، ص 316. كذلك، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن أبي الفوارس الوردي المعري الشافعي **: تاريخ بن الوردي واسمه تتمة المختصر في أخبار البشر**، ج $_2$، ص 357. وكذلك، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري : **المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور**، مطابع الشعب، 1960م، ص 138.

(3) ابن فضل الله العمري : المصدر السابق، ج $_4$، ص 159.

(4) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي : **الفلاتة في أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان**، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط $_1$، 1415هـ / 1994م، ص 255.

(5) حسين مؤنس : **الإسلام الفاتح**، دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي، ص 106.

(6) جوان جوزيف : **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء**، تر، مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، ط $_1$، 1404هـ - 1984م، ص 67.

(7) زكرياء بن محمد بن محمود القزويني : **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، ص 24.

(8) صلاح الدين المنجد : **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1982م، ص 5.

تمتد هذه المملكة على أحد فروع نهر النيجر في مسافة تقدر بـ 300 ميل، إذ هي متاخمة للمملكة السابقة من الشمال[1]، والمتمثلة في مملكة غانة[2].

وتتمثل تضاريس مملكة مالي في أنها منطقة سهلية منبسطة ليس بها جبال، وتحتوي على بحيرات، كانت قد تكونت من فيضانات الأنهار التي تمر بها[3].

وقد شهدت المملكة عبر مر العصور اتساعا ملحوظا ؛ حيث قدر القلقشندي مساحة مالي نقلا عن الشيخ سعيد الدكالي بقوله : « أن هذه المملكة مربعة الشكل طولها أربعة أشهر أو تزيد وعرضها مثل ذلك »[4]، وقدرت مساحتها من الغرب إلى الشرق مسيرة أربعة أشهر طولا، وعرضها مسيرة ثلاثة أشهر من الشمال إلى الجنوب، وقد تجاوزت مالي – بمرور الزمن – حدود المملكة، وأضحت إمبراطورية مترامية الأطراف[5]، امتدت امتدت من البحر المحيط غربا إلى بلاد البرنو شرقا، ومن جنوب المغرب الأقصى شمالا إلى ما يقرب من المحيط جنوبا[6].

وضمت المملكة في أيام عزها أراضي الدول المعروفة الآن باسم : السنغال، وغامبيا، وموريتانيا، بالإضافة لجمهورية مالي الحالية[7].

---

(1) الحسن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي : **وصف إفريقيا**، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط $_1$، 1983م، ج $_1$، ص 164.

(2) وهي إحدى الممالك السودانية، اشتهرت بكثرة وجود معدن التبر بأرضها. أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه : **مختصر كتاب البلدان**، مطبع بريل، ليدن، 1302، ص 87. وكذلك، أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي : **شرح مقامات الحريري**، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج $_1$، ص 334. وكذلك، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي : **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، مج $_2$، ص 12.

(3) مارمول كربخال : **إفريقيا**، تر، مجموعة أساتذة، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984م، ج $_1$، ص 53.

(4) القلقشندي : المصدر السابق، ص 282.

(5) عبد القادر زبادية : **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، دراسات ونصوص، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 16.

(6) صلاح الدين المنجد : نفس المرجع ، ص 5.

(7) إسماعيل العربي : **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 240.

ب ـ تأسيس المملكة :

يعود تأسيس مملكة مالي إلى قبائل الماندينغو[1]، الذين كان لهم دور بارز في نشر الإسلام والرسالة المحمدية في غرب إفريقيا[2]، وكانت هناك مجموعة من الظروف المساعدة على قيام مملكة مالي وازدهارها، ومن ذلك ؛ سقوط دولة الموحدين، وما نتج عنه من صراع بين الدويلات التي قامت على أنقاضها، وهو ما أدى لانشغال الشمال الإفريقي عن الدول الناشئة في بلاد السودان[3]، بالإضافة إلى أفول إمبراطورية غانا الإسلامية، وما وما انجر عنه من تمردات الأقاليم التابعة لها على غرار قبائل الصوصو، التي حاولت السيطرة على بعض الأقاليم الجنوبية، منها مملكة الماندينغ في الجنوب الغربي[4]، ونتيجة لذلك دخلت قبائل الماندينغو في صراع مع قبائل الصوصو[5]، واستطاعت هذه الأخيرة حسم الأمور لصالحها، فضمت إليها أكثر المقاطعات التي كانت تابعة لإمبراطورية غانا، منها مقاطعة كانجابا (مملكة مالي فيما بعد)[6]، ونجح ملك الصوصو المدعو سوماورو بالاستيلاء على إمارة الماندينغ، وأكثر من ذلك فقد استطاع هذا الأخير أن يجمع أفراد الأسرة الحاكمة في مالي ؛ وهم أحد عشر أميرا أبناء الملك ناري فامغان، وبطريقة وحشية قام ملك الصوصو بذبحهم بينما أبقى على أصغرهم المدعو سانديانا، وقد كان هذا الأخير مصابا بالشلل، فاستصغر ملك الصوصو شأنه، ولم يتوقع أي خطر من جانبه ليسلم بذلك

---

(1) جلال يحي : المرجع السابق، ص 32.

(2) Alain Quellien : **La politique musulmane dans l'Afrique occidentale française**, Paris, Emile Larose, libraire - éditeur, 1910, p 5.

(3) القاموس الإسلامي للناشئين والشباب : **انتشار الإسلام في إفريقيا**، إع، محمد علي الهمشري، السيد أبو الفتوح، علي إسماعيل موسى، مكتبة العبيكان، دار أراكان، الرياض، ط $_1$، 1418هـ / 1997م، ج $_{11}$، ص 71.

(4) إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر : **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر** (قارة إفريقية)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1413هـ / 1993م، ج $_2$، ص 207.

(5) Cheikh Anta Diop **: Pre – colonial black African,** a comparative study of the political and social systems of Europe and black Africa from antiquity to the formation of modern state, Lawrence hill and company, France, 1987, p 49.

(6) محمود شاكر : **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر غربي إفريقية 1346 – 1416هـ، 1964 – 1994م**، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، ط $_2$، 1417هـ - 1997م، ج $_{15}$، ص 119.

سانديياتا من القتل، ومعنى كلمة سانديياتا باللغة الماندية ؛ الأسد الجائع[1]، وهو ابن الملك ناري فامغان بن موسى كيتا المعروف بموسى الأكوري[2].

اشتهر سانديياتا بلقب ماري جاطة، وحسب تفسير ابن خلدون فإن ماري تعني ؛ الأمير الذي يكون من نسل السلطان، وجاطة تعني ؛ الأسد، وتركيب الكلمتين يعني ؛ الأمير الأسد[3].

تمكن سانديياتا من الهرب إلى إمارة سوننكية مسلمة تابعة لغانة، هي إمارة ميمة، وقد استقلت هذه الأخيرة عند سقوط المملكة، وكان هروبه بسبب سلطة ملك الصوصو الجائرة واضطهاده لحكام مالي، حيث نشأ ماري جاطة وتكون وأصبح زعيما في بلاط ملك ميمة المسلم، وعمل أثناء ذلك على جمع القبائل المناوئة لقبائل الصوصو[4]، آخذا على عاتقه مسؤولية تحرير بلاده من سلطة قبائل الصوصو المحتلة، فتحالف مع رؤساء الماندينغ الذين لبوا طلبه، وشاركوه في حروبه ضد قبائل الصوصو، وبذلك تمكن من تجنيد جيش قوي تزعم هو قيادته[5].

وكان الخصمان قد تقابلا من قبل في عدة معارك كان الفشل فيها من نصيب سونديياتا الذي لجأ في الأخير إلى استخدام أسلوب الديبلوماسية والسحر ضد قبائل الصوصو الوثنية، معتمدا في ذلك على أخته المدعوة (مينيا مباسكو لكي) لاكتشاف سر قوة ملك الصوصو، وكان الأمر أن قدمها سانديياتا رهينة له كفرض ولاء وطاعة من طرفه، لتقوم هذه الأخيرة بدور الجوسسة، حيث اشترطت على ملك الصوصو الذي أعجب بها أن يطلعها على جميع أسراره كشرط لقبولها الزواج منه، وبذلك أباح ملك الصوصو بسر قوته لزوجته – بالرغم من النصائح التي قدمتها له أمه، وذلك أنه (لا يمكن أن يقتل إلا بواسطة

---

(1) جوان جوزيف : المرجع السابق، ص 66.

(2) الهادي المبروك الدالي : **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط $_1$، ربيع الثاني 1420هـ - أغسطس 1999م، ص 52.

(3) عبد الرحمان بن خلدون : **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، مرا، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ - 2000م، ج $_6$، ص 266.

(4) أحمد الشكري : **الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230 – 1430**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، ط $_1$، 1999، ص – ص 180 – 181.

(5) نبيلة حسن محمد : **في تاريخ إفريقيا الإسلامية انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري**، دار المعرفة الجامعية، 2007م، ص 210.

ظفر ديك أبيض) – التي بمجرد اكتشافها للسر هربت بمساعدة بعض أعوانها، والتحقت بمعسكر أخيها في جنح الليل[1].

وهكذا، وبعد أن اكتشف ماري جاطة سر قوة ملك الصوصو، عمل على تكوين جيش قوي لملاقاة قبائل الصوصو، وكان ذلك قرب نهر النيجر، في حوالي عام 1235م، تمكن ماري جاطة من إلحاق هزيمة كبيرة بقبائل الصوصو وقتل ملكهم، وتحقق له النصر في معركة كيرينا واستطاع أن يحرر المنطقة من عبودية سومانجورو، ليتمكن بعدها من فتح المدينة وما حولها[2].

وبذلك ستتحول مالي من مقاطعة صغيرة في إقليم كانجابا إلى مملكة قائمة بذاتها، حيث مكن هذا الانتصار من جعل سوندياتا الرجل الأسطوري العظيم، والمؤسس الحقيقي للمملكة[3]، والذي يرجع الفضل له في أسلمة مملكة مالي، التي جعل منها مملكة ممتدة الأطراف، كان لها دور في نشر الإسلام[4].

دامت فترة حكم سانديانا من 1230 إلى غاية 1255م، قام فيها هذا الأخير بالعديد من الأعمال، ويعد عهده بمثابة مرحلة تأسيسية للمملكة[5].

---

(1) إسماعيل العربي : **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، زيغود يوسف، الجزائر، 1983م، ص – ص 298 – 299.

(2) عطية مخزوم الفيتوري : **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة إنتشار الإسلام)**، منشورات جامعة فاز يونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط $_1$، 1998، ص 262.

(3) Edward William Bovill **: The golden trade of the moors west African kingdoms in the fourteenth century**, oxford university press, London, 1958, p 85.

(4) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : **المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا**، إش، أحمد مشاري العدواني، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1923 – 1990، يوليو1989، ص 30.

(5) رونالد أوليفر وجون فيج : **تاريخ إفريقية من الشرق والغرب**، تر، عقيلة محمد رمضان، مرا، أحمد صوار، الدار القومية للطباعة والنشر، العدد 108، 20 / 5 / 1964م، ص 34.

أما عن حدود المملكة في عهده فقد امتدت من الصحراء الكبرى شمالا إلى البحر المحيط جنوبا، ومن بلاد الهوسا شرقا إلى جبال الأطلس غربا[1]، وقد تميز فتح سوندياتا بالطابع العسكري، محققا بذلك انتصار كيرينا الباهر، ليصرف جهوده بعد ذلك لتنظيم المملكة وترتيب شؤونها[2]، أين قام بنقل عاصمة ملكه من كانجابا إلى نياني[3]. لتوافي بعد ذلك المنية سانديانا عام 1255م بعد عهد مليء بالانتصارات، دام 25 عاما[4]، تاركا وراءه مملكة واعدة كان له الفضل في تأسيسها، والتي كانت قبل أن يستلم مقاليد الحكم فيها عبارة عن إمارة صغيرة في إقليم كانجابا، وأصبحت على يده مملكة قائمة بذاتها، بعد انتصار كيرينا عام 1235م[5].

المبحث الثاني : نظام الحكم وأشهر السلاطين :

المطلب الأول : نظام الحكم والإدارة :

شهدت بلاد السودان الغربي أنماطا مختلفة من الحكم، امتزجت بين النمط الإفريقي والأنماط العربية الإسلامية الوافدة عليها، والتي تطور وجودها في ظل مملكتي مالي وسنغاي الإسلاميتين[6]، فقد كان نظام الحكم في مالي مثل بقية الأنظمة الإفريقية نظاما قبليا قبليا ينظر فيه لشيخ القبيلة على أنه ممثل للإله، بالإضافة لكونه زعيما عظيما للقبائل القوية، هذا قبل تأسيس المملكة، أين كانت السيادة تؤول رأسا إلى أقوى القبائل، إلا أنه وبمجرد تأسيس المملكة من قبل سانديانا، تغير نظام الحكم الذي كان سائدا في المملكة، وأصبح يسير وفقا للقاعدة المعروفة عند العجم، والتي يوضحها القلقشندي بقوله : « على قاعدة العجم في توريث البنت وابن البنت »[7] ؛ أي أن نظام الحكم في مملكة مالي قد عرف النظام الأمومي ؛ بمعنى أن الأسرة الملكية كانت بصفة أمومية النظام اقتداءً

---

(1) راغب السرجاني : **الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي**، إع، فريق البحوث والدراسات الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط $_1$، 1426هـ / 2005م، ص 347.

(2) Robert Cornevin : **Histoire de l' Afrique**, Payot, Paris, 1962, Tome 2, l'Afrique précoloniale du tournant XVI^e au tournant du XX^e, p 217.

(3) E – T. Hamy : **Tombouctou** (conférence faite au muséum d' histoire naturelle), Louis Oliver, revue générale des sciences et appliquées, libraire Armand colin, Paris, 1902, p 4.

(4) ابن خلدون : المصدر السابق، ج $_6$، ص 266.

(5) أحمد طاهر : **إفريقيا فصول من الماضي والحاضر**، دار المعارف، القاهرة، ص 72.

(6) أمطير سعد غيث : **التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر**، دار الرواد، بنغازي، ط $_1$، 1996م، ص 77.

(7) القلقشندي : المصدر السابق، ص 294.

بالبربر، فالوراثة يتم انتقالها من الخال إلى ابن أخته[1]، ويظهر ذلك جليا من خلال تولي الحكم من طرف أبي بكر ؛ الذي يعد سبطا من أسباط ماري جاطة، حيث كانت صلة القرابة به أنه ابن ابنته[2].

وقد كان نظام الحكم في الأغلب الأعم نظاما وراثيا بين أفراد العائلة الملكية[3]، بالإضافة للزعماء الذين تربطهم معهم علاقات مصاهرة، كما عمدوا لتوريث الحكم لأبنائهم، هذا ما نتج عنه الاستقرار في الحكم[4]، ومما يثبت توارث الملك بينهم أن منسى موسى أخبر ابن أمير حاجب في مصر قائلا : « نحن أهل بيت يتوارث الملك »، فابن الأخت يرث حتى في التركات[5]، حيث أن النظام القبلي قد تهاوى بالتدريج، وذلك منذ أيام مملكة غانا الوثنية[6].

وقد ساد كما سبق ذكره نظام الحكم الملكي الوراثي، الذي لم يكن مقتصرا على تولي أبناء الملوك فحسب، بل اشتمل حتى على إخوته وخير دليل على ذلك تولي منسى سليمان[7] - الذي تميز نظام الحكم على عهده بالثبات - الملك وكذا الحكم النظامي[8]، وبالرغم من أن نظام الحكم في مملكة مالي الإسلامية، كان في معظم الأحوال نظاما مستقرا، إلا أنه عرف بعضا من الاضطراب في فترات الحكم، حيث شهد حكما استبداديا، وذلك عندما قاد ساكورة[9] انقلابا على الأسرة الحاكمة، حيث كان هذا الأخير مولى من مواليهم، كما ينوه بذلك ابن خلدون، وتمكن من السيطرة على ملكهم[10].

ويتجلى التأثر بالتعاليم العربية والعقيدة الإسلامية في المملكة، من خلال أنظمة الحكم ؛ أي أن التوريث في الحكم أصبح الأحق به الابن الأكبر والأخ، من ابن البنت وابن

---

(1) ك. مادهو بانيكار : **الوثنية والإسلام (تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا)**، تر وتع وتح، أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، ط $_2$، 1998م، ص 96.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ج $_6$، ص 267.

(3) ابن فضل الله العمري : المصدر السابق، ج $_4$، ص 70.

(4) يحي بوعزيز : **تاريخ إفريقيا الغربية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 32.

(5) حسن عيسى عبد الظاهر : **الدعوة الإسلامية في غرب أفريقية وقيام دولة الفلاني**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط $_1$، 1412هـ - 1991م، ص 133.

(6) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 77.

(7) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 66.

(8) حسين مؤنس : **ابن بطوطة ورحلاته**، تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، ص 233.

(9) الهادي مبروك الدالي : نفس المرجع، ص 67.

(10) ابن خلدون : نفس المصدر، ج $_6$، ص 267.

الأخت، وهذا ما عرف في التاريخ الإسلامي منذ عهد تولى ابن معاوية، الذي ولاه أبوه معاوية ابن أبي سفيان، وحذا حذوه منسى موسى، الذي عين ابنه محمدا نائبا له، ووليا لعهده في آن واحد خلال قصده للبقاع المقدسة[1].

أما فيما يخص أمور البلاط، فقد وصف لنا الرحالة ابن بطوطة كيفية جلوس السلطان داخل قصره ؛ الذي يحتوي على قبة يوجد بابها داخل داره وهي مرتفعة، وقد كان في غالب الأحيان قعوده بها ؛ وتحتوي هذه الأخيرة على ثلاثة طيقان خشبية من جهة المشور[2]، وهي مغشاة بصفائح فضية كما يكون تحتها ثلاثة طيقان أخرى غشاؤها ذهبيا، أو فضة مذهبة، بالإضافة لكونها ملفوفة بستائر، ويكون رفع هذه الستائر عليها يوم جلوس السلطان بالقبة، وذلك حتى يعلم بيوم جلوسه، أين يقوم السلطان بإخراج منديل مصري مربوط في شرابة من حرير، هذا وبمجرد رؤية الناس لهذا المنديل يقومون بضرب الطبول ونفخ الأبواق[3] المصنوعة من أنياب الفيلة[4]، كما يخرج من باب القصر حوالي ثلاثمائة من العبيد يحمل بعض منهم القسي، ويحمل البعض الآخر الرماح الصغيرة والدرق[5]، ويقف أصحاب الرماح على يمينه ويساره، وكذلك يجلس أصحاب القسي، كما يجلب فرسين مسرجين ملجمين، بالإضافة لكبشين، والهدف من ذلك درء العين والحسد[6].

أما فيما يخص جلوس السلطان بالمشور، فقد كان يجلس على مصطبة كبيرة يطلق عليها بنبى ؛ « بالباء الموحدة والنون، والباء الموحدة »، أين يكون مجلسه على دكة كبيرة مصنوعة من خشب الآبنوس تشبه التخت الكبير، وهو ما ينم عن العظمة والاتساع في مجلسه، كما يحاط بها من كل جانب أنياب الفيلة بالقرب من بعضها البعض[7]، ويكون خروج السلطان من باب في ركن من أركان القصر حاملا بيده قوسا، وبين كتفيه كنانته[8]،

---

[1] أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 80.
[2] وهو فناء خارج القصر وباب القصر داخله ؛ أي أن الداخل إلى القصر يمر أولا بالمشور. ينظر، نفسه، ص 82 (الهامش).
[3] ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 328.
[4] حسن إبراهيم حسن : **انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط $_2$، 1963م، ص 105.
[5] عبد الهادي التازي : **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1987م، مج $_7$ **(عهد بني مرين والوطاسيين)**، ص – ص 105 – 106.
[6] حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع، ص 106.
[7] القلقشندي : المصدر السابق، ص 300. ابن فضل الله العمري : المصدر السابق، ج $_4$، ص – ص 64 – 65.

كنانته[1]، وكان جلوسه بالمشور للاستماع لمطالب الرعية وكذا مشاكلهم، وذلك بعد صلاة الجمعة[2].

كما كان يسير خلفه حوالي 300 من العبيد مزودين بأسلحة، وعادة ما تكون مشيته بخطى ثابتة، وبطيئة، ويتوقف أحيانا يتأمل الناس، ويصعد برفق تشبها بصعود الخطيب إلى المنبر.

مقابلة الملك : اعتبرت عادة التتريب من بين التقاليد القديمة المحافظ عليها من طرف سكان مالي، وهي تعبر على مدى الإجلال والتقدير الذي يحظى به الملك من طرف الرعية، وهذا السلوك تشبها بالولاء في المجتمع الإسلامي، ويقول ابن بطوطة في هذا الشأن : « السودان أعظم الناس تواضعا لملكهم وأشدهم تذللا له »[3].

ويظهر التأثر بالحضارة العربية الإسلامية جليا في مراسيم تنصيب الملوك، فقد كانت متأثرة بنسبة كبيرة بما كان سائدا عند تنصيب الحكام العرب المسلمين[4]، ففي حفل تنصيب سانديات برز على المنصة الشرفية بلباس الصيادين[5] ؛ حيث يرفع على جلد ثور يكون حديث السلخ، كما كان مرتديا كندورة بيضاء، وذلك تشبها بالخليفة المسلم[6]، كما كان كان الحكام يحملون الشارات، بالإضافة إلى حرصهم على الإحسان للفقراء والمساكين، وذلك بكثرة توزيع الصدقات تقليدا للخلفاء المسلمين[7].

أما عن شعار الملك فقد كانت الأعلام والألوية الكبيرة هي شعاره[8] ؛ وهي عبارة عن قطعة قماش صفراء في أرض حمراء، وتكون هذه الأعلام منتشرة في كافة الجهات رامزة للكفاح المسلح الذي أبداه أبناء الشعب ضد الطامعين. أما الأعلام فترمز للانتصارات المحققة في أنحاء البلاد[9].

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 239.
(2) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 281.
(3) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص – ص 239 – 240.
(4) أمطير سعد غيث : المرجع السابق ص 78.
(5) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 181.
(6) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 307.
(7) أحمد الشكري : نفس المرجع، ص 181.
(8) ابن فضل الله العمري : المصدر السابق، ج 4، ص 68.
(9) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 75.

أما عن التنظيم الإداري فقد كانت المملكة مقسمة إداريا إلى عدد من الأقاليم، اكتفى المقريزي بذكرها دون شرح[1]، أما القلقشندي فيذكر أنهم 14 إقليما، ومنهم خمسة تمثل كل كل منها مملكة بذاتها وهي :

- **إقليم مالي** : ويقع بين إقليم صوصو وإقليم كوكو، يحده من غربيه إقليم صوصو، ومن شرقيه إقليم كوكو، وتعد مدينة بنبى هي قاعدته.
- **إقليم صوصو** : « بصادين مهملتين مضمومتين بعد كل منهما واو ساكنة »، كما يمكن إبدال الصاد سينا مهملة، وقد سمي بهذه التسمية نسبة إلى سكانها[2]، وهو يلي البحر المحيط ويقع غرب إقليم مالي في كانجابا.
- **بلاد غانه** : « بفتح الغين وألف ثم نون مفتوحة وهاء في الآخر » ؛ وهي تقع غربي إقليم صوصو، وتجاور البحر المحيط الغربي وقاعدته مدينة غانه[3]، وقد قدر ابن سعيد طولها بتسع وعشرين درجة، أما عرضها فقدره بعشر درجات وخمس عشرة دقيقة[4].
- **بلاد كوكو** : وهي تقع شرق إقليم مالي، وتعد مدينة كوكو قاعدة له، و « كوكو بفتح الكاف وسكون الواو وفتح الكاف الثانية وسكون الواو بعدها » ؛ وهي تقع جنوب إقليم مالي، حيث يقدر طولها بأربع وأربعين درجة، أما عرضها فبلغ عشر درجات وخمس عشرة دقيقة[5]، وقد وصفها صاحب الروض المعطار بالشساعة. أما عن موقعها ؛ فهي تقع على ضفة نهر منبعه في الشمال[6].

---

(1) تقي الدين أحمد بن علي المقريزي : **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تح وتع، جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط $_1$، 1420هـ / 2000م، ص 141 (الهامش). كذلك، محمد بن عمر التونسي : **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، تح، خليل محمود، عساكر مصطفى، محمد مسعد، مرا، محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م، ص 134 (الهامش).

(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ج $_5$، ص 495. كذلك، ابن فضل الله العمري : المصدر السابق، ج $_4$، ص 64.

(3) القلقشندي : المصدر السابق، ص 284.

(4) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق، ص 93.

(5) القلقشندي : نفس المصدر، ص – ص 284 – 285. ابن سعيد المغربي : نفس المصدر، ص – ص 92 – 93.

(6) محمد بن عبد المنعم الحميري : **الروض المعطار في خبر الأقطار**، معجم جغرافي مع فهارس شاملة، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ط $_1$، 1975، ط $_2$، 1984، ص 502. كذلك، شهاب الدين أحمد بن يحي القاضي ابن فضل الله العمري : **التعريف بالمصطلح الشريف**، تح وتع، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط $_1$، 1408هـ - 1988م، ص 44.

- **بلاد التكرور** : تقع التكرور شرقي إقليم كوكو، يحدها من الغرب مملكة البرنو، وقد اشتهرت التكرور بشساعتها، وتعد مدينة تكرور قاعدة لها، وتكرور « بفتح التاء المثناة فوق وسكون الكاف وضم الراء المهملة، وسكون الواو، وراء مهملة في الآخر »[1]، ويذكر صاحب الروض المعطار بأنها مدينة من مدن السودان ؛ تقع بالقرب من مدينة صنغانة على النيل، وأنها أكبر من مدينة سلى، ويقدر المسافة بينها وبين سجلماسة المغربية بأربعين يوما حسب سير القوافل[2].

هذا بينما تذكر رواية العمري أن مملكة مالي تشتمل على 14 إقليما، حيث أشار إليها بقوله : « والذي تشتمل عليه هذه المملكة من الأقاليم : غانة، وزافون، وترنكا، وتكرور، وسنغانة، وبانيغو، وزرنطانيا، وبيترا، ودومورا، وزاغا، وكابرا، وبراغوري، وكوكو، وسكان كوكو قبائل يزنان، وإقليم مالي الذي به قاعدة الملك مدينة نيني »[3].

أما فيما يخص الحكومة ؛ فقد كانت على عهد سانديانا مكونة من رفاقه، وكذا من العسكريين وقادة الحرب، بالإضافة لإحاطة نفسه بمثقفين سود من الأولياء، في حين كان على عهده نوعان من المقاطعات، الأولى بادرت بالانضمام إليها وبقيت محتفظة بألقابها كغانة وميمة، أما النوع الثاني من المقاطعات فقد ضمت عن طريق الفتح. وكانت الولايات تقسم إلى دوائر يطلق عليها اسم الديامانا كما يطلق عليها اسم المدينة ؛ وهي تحتل المركز الثاني، وتتشكل من مجموعة من القرى تسمى بالكافو ؛ وتعني مجموعة من المدن[4]، وتقسم الدائرة بدورها إلى مجموعة قرى تسمى الدجو[5] ؛ وهي بمثابة نواة للوحدة الإدارية الإدارية كان لها مكانة في النظام السياسي، حيث يقطن فيها على الغالب أفراد من نفس الأصل[6].

وبخصوص أنظمة الإدارة فقد كانت جل الأنظمة متشابهة في مختلف الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، وظهر ذلك جليا بعد انتشار الإسلام، حيث عملت بنفس النمط

---

(1) القلقشندي : المصدر السابق، ص 286.
(2) الحميري : المصدر السابق، ص 134.
(3) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 60.
(4) نياني (ج. ت) : **مالي والتوسع الثاني للماندانغ**، تاريخ إفريقيا العام، (اليونسكو)، بيروت، لبنان، 1988م، مج 4 (إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)، ص، ص 146، 171.
(5) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 309.
(6) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 69.

المعمول به في المناطق الإسلامية، كمصر وشبه الجزيرة العربية[1]، وقد كان يوجد بهذه المملكة حسب القلقشندي الوزراء، والقضاة، والكتّاب، وكذا الدواوين، فكان السلطان لا يكتب شيئا في أغلب الأحيان، إنما يوكل ذلك إلى صاحب الوظيفة الخاصة به ؛ وهو الكاتب، في حين كانت طريقة كتابتهم بالخط العربي[2]، حيث كانت العربية هي لغة الإدارة والثقافة، بالإضافة لاستعمالها في التداول بين الناس[3]، ومما يؤكد استعمال الخط العربي بالمملكة، أن منسا موسى في رسالته للحضرة السلطانية بمصر، يذكر أنها كتبت بالخط العربي[4].

أما الملوك فكانوا يتمتعون بكافة السلطات، كما أن جل الأمور ترجع إليهم في سياسة الدولة، وكان حرص الملوك على مراقبة نشاطات نوابهم واضحا من خلال عدم تطبيقهم أي عمل دون استشارة الملك[5]، وكان الملك يعقد اجتماعات دورية في فناء قصره[6] ؛ أي بالمشور ؛ وهي كلمة عربية مشتقة من المشورة، وكان الهدف من اجتماعاته المشورة، وهذا ما يوضح تأثرهم وتشبههم بنظام الشورى في الإسلام[7] امتثالا لقوله تعالى : **« وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ »**[8].

أما عن الموظفين المساعدين للملك فيتمثلون في : **قنجا** ؛ وهو بمثابة النائب العام، ويكون في المرتبة الثانية بعد الملك[9]، و**السانتيجي** ؛ وهو أمين الخزانة ؛ أي أمين الغلال الملكية، و**دوغوتيجي** ؛ وهو رئيس تقليدي يحكم القرى[10]، و**الفاربا** ؛ وهو نائب الملك يحكم الأقاليم، منهم فربا حسين ؛ نائب السلطان على ايوالاتن، وفربا موسى ؛ حاكم مدينة تنبكت، وتتجسد مهمته في السهر على حفظ الأمن، والنظر في الأمور الإدارية. بالإضافة

---

(1) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 281.
(2) القلقشندي : المصدر السابق، ص 298.
(3) عمار هلال : **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، 1954 – 1984، ص 59.
(4) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج $_4$، ص 74.
(5) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 81.
(6) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 67.
(7) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص 82.
(8) القرآن الكريم : سورة الشورى، الآية 38.
(9) أمطير سعد غيث : نفس المرجع ، ص 82.
(10) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 171.

إلى **المحاسب** ؛ الذي يعرف حسب المصطلح السوداني بـ : **المتشاجو** ؛ ويعني الذي يشرف على السير العادي للحركة التجارية[1].

أما بالنسبة للقضاء بالمملكة، فقد كان مرجعه إلى الشريعة الإسلامية، وهذا أمر طبيعي في ظل انتشار الإسلام في ربوع المملكة[2]، وقد كانت مهمة القضاء رفيعة وصعبة وصعبة في آن واحد، وتكون تحت إشراف السلطان، وكان القاضي يلقب بـ : بَانْفَارْفَمْ، وكان القضاة صنفين :

1. **قاضي العاصمة** : يعد القاضي الأول، ويعتبر بمثابة مستشار الملك، ومن بين امتيازاته مصافحة الملك، أما اختصاصاته فتتمثل في تصدر الحاضرين في المناسبات، وتتمثل مهامه في الفصل في المشاكل الحاصلة بين أهالي المملكة.
2. **قضاة آخرين** : وهم يقومون بممارسة مهمة القضاء خارج العاصمة[3].

أما أنواع المحاكم فهناك محكمتان :

أ - محكمة ملكية : ويترأسها الملك، وتتمثل مهامها في جرائم الخيانة العظمى.

ب - محكمة القاضي : ومن اختصاصاتها النظر في الجرائم العادية، وكذا الخلافات التي تحصل بين أهل المملكة[4].

وكان التأثير العربي الإسلامي معالمه واضحة في مجال القضاء، فبالإضافة لإشاعتهم للأمن والعدل كانوا يستمدون أحكامهم من المذهب المالكي السائد في معظم الشمال الإفريقي[5]. بالإضافة إلى وجود جاليات عربية عملت في القضاء في بلاد السودان عموما ومالي خصوصا[6]، ومن بين القضاة نجد : الحاج التنبكتي الذي زاول مهنة القضاء في تنبكت في أواخر مملكة مالي أوائل القرن التاسع الهجري، وعبد الرحمان التميمي ؛

---

(1) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 190.
(2) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 282.
(3) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 71.
(4) عطية مخزوم الفيتوري : نفس المرجع، ص 288.
(5) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص، ص 88، 90.
(6) محمد الشريف : **الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي (8هـ / 41م) ملاحظات حول دورها في التفاعل الحضاري بضفتي الصحراء**، مجلة التاريخ العربي، إصدار جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 15، صيف 2002، ص 98.

وهو من بين الذين جلبهم منسى موسى من بلاد الحجاز عند أدائه فريضة الحج[1]، وكذلك القاضي أبو العباس الدكالي الذي شغل مهنة قاضي على عهد السلطان منسى موسى[2].

أما فيما يخص التنظيم العسكري فقد كان حاضرا بقوة بالمملكة، أين أبدى ملوك مالي اهتماما كبيرا بالجيش الذي تشكلت نواته الأولى في عهد سانديانا، وحقق من خلاله انتصار كيرينا الباهر[3]. وعن قوة تعداد جيش المملكة يذكر القلقشندي بأن العسكر بالمملكة بلغ تعداده 100 ألف نفر، بين خيالة ورجالة[4]، وكان الجيش مكونا من عناصر قبائل الماندنغو والعرب المتوطنين هناك، بالإضافة إلى فروع أخرى، وللملك مهمة إعداد الخطط العسكرية، ويتولى في بعض الأحيان قيادة الجيش بنفسه، ويحظى قادة الجيش باحترام بالغ من قبل السلطان والعامة[5].

المطلب الثاني : أشهر السلاطين :

تعد أسرة كيتا[6] المسلمة من أشهر الأسر الحاكمة التي تعاقبت على عرش مالي، على غرار أسرة التروبين القاطنة على حوض السنغال الأعلى، وأسرة الكوناتيين الواقعة إلى الشمال من الأولى[7]، وهاتين الأخيرتين تعاقبتا على عرش مالي وهي لازالت إحدى مقاطعات مملكة غانا الإسلامية، في إقليم كانجابا[8]، أين دان أوائل ملوك مالي بالإسلام، وعرف بالمسلماني[9]، وكان ذلك في حوالي النصف الأول من القرن 5هـ / 11م[10].

هذا وقد أورد الدرجيني رواية تحدث فيها عن إسلام ملك مالي على يد أحد شيوخ الإباضية وهو « علي بن يخلف »، وذلك سنة 575هـ[11].

---

(1) أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي : **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تح، محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1401هـ - 1981م، ص، ص 88، 176.

(2) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 217.

(3) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 282.

(4) القلقشندي : المصدر السابق، ص 299.

(5) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 73.

(6) تدعي هذه الأسرة النسب العربي، وقيل أن مؤسسها المدعو موسى ديجينيو من سلالة بلال بن رباح، وأنه قدم رفقة والده من الحجاز، واستوطن بلاد الماندينغو. أين تجند مع العسكريين الذين كانوا تحت خدمة أسرة الكونتيين، وتمكن من الوصول إلى السلطة. حسين مؤنس : **أطلس تاريخ الإسلام**، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط 1، 1407هـ / 1987م، ص 373.

(7) حسين مؤنس : الإسلام الفاتح، المرجع السابق، ص 110.

(8) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 52.

(9) البكري : المصدر السابق، ص 187.

(10) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 172.

(11) أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني : **كتاب طبقات المشايخ بالمغرب**، تح، إبراهيم طلاي، ج 2، ص 137.

أما مملكة مالي الإسلامية فتنسب إلى أسرة كيتا المسلمة، التي أصبح أفرادها فيما بعد سلاطين للمملكة[1]، (ينظر الملحق رقم 01) ومن أشهرهم :

- **سانديانا (ماري جاطة)** : 1230 – 1255م

المؤسس الحقيقي للمملكة (ينظر مطلب تأسيس المملكة).

- **منسا ولي** :

ومعنى « منسا » بلغة الماندي ؛ السلطان، و « ولي » ؛ أي علي، وتركيب الكلمتين يعني ؛ السلطان علي[2].

وخلافا للتقليد السياسي المعمول به في المملكة، والقاضي بحصر منصب الملك على شخص ابن الأخت، تولى منسا ولي – وهو الابن الأكبر لسانديانا – الحكم مابين (652 – 669هـ / 1255 – 1270م)[3] خلفا لوالده الذي اقتفى آثاره، فقام برحلة لأداء فريضة الحج الحج عام (659 – 676هـ / 1260 – 1277م)[4].

وبرجوعه إلى بلاده قاد منسا ولي حركة توسعية، أين زحف نحو الغرب وضم إلى دائرة حكمه إقليم البامبوك (Bambouk)، وبوندو (Boundou)، كما ضم الجزء الأكبر من وادي غامبي (La vallée de la Gambie)[5]، وفي عهده سارت المملكة باتجاه لامركزية التسيير، حيث قام بمنح إقطاعيات للقادة الكبار[6]، كما شهد عهده أيضا بداية تغلغل نفوذ مالي داخل إمارة سنغاي (كوكو)[7].

استمر منسا ولي في الحكم حوالي 15 سنة، وتوفي عام 669هـ، وعقب وفاته شهدت المملكة سلسلة من الاضطرابات السياسية، تولى خلالها ثلاثة سلاطين ضعاف[8]، وهم :

---

(1) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص 373.
(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ج 6، ص 267.
(3) أحمد الشكري : نفس المرجع، ص 183.
(4) A. le chatelier : **L' Islam dans l'Afrique occidentale**, G Steinheil éditeur, Paris, 1899, p 80.
(5) Maurice Delafosse : **Les noirs de l' Afrique**, Collection Payot, Paris, 1922, p 58.
(6) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 301.
(7) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 183.
(8) محمود شاكر : المرجع السابق، ص 121.

ولي الثاني ؛ وهو شقيق منسا ولي، حكم بين سنتي (1270 – 1274م)، ثم شقيقه الآخر خليفة، الذي أساء السيرة طيلة مدة حكمه[1]، أما السلطان الثالث فهو أبو بكر، وهذا الأخير يكون ابن بنت ماري جاطة (ساندياتا)[2].

- **ساكورة :**

بعد سلسلة الاضطرابات التي شهدتها مملكة مالي عقب وفاة منسا ولي، تمكن أحد جنود آل كيتا من التحكم في زمام الأمور[3]، وعلى حسب رواية ابن خلدون، فإنه وبعد وفاة وفاة أبو بكر تولى مقاليد الحكم في المملكة ساكورة، الذي ضبطه الشيخ عثمان بلسان أهل غانية سيكرة[4].

وعلى كل يعتبر ساكورة مغتصبا للسلطة، على اعتبار أنه لم يكن من أفراد الأسرة الحاكمة في مالي. ومهما يكن فقد تولى مقاليد الحكم في المملكة ابتداءً من سنة 684هـ / 1285م وإلى غاية سنة 700هـ / 1300م[5].

لكن، على الرغم من أن الطريق التي وصل بها ساكورة إلى سدة الحكم لم تكن شرعية – بالنسبة إليهم – إلا أنه أظهر إمكانيات فائقة في الحكم، حيث اشتهر بالقوة وحسن التدبير، واستطاع أن يعيد المملكة إلى قوتها بعد أن كانت على شفا حفرة من الانهيار الذي حل بها نتيجة المؤامرات المحاكة في القصر الملكي طمعا في الوصول إلى العرش[6]، ذلك ذلك أنه قاد حركة توسعية دعم من خلالها نفوذ المملكة، فوصل إلى جاو شرقا، والتكرور غربا، وأدخل منطقة ماسينا التابعة لجاو، كما أخضع التكرور، وذلك بأن جعل ملكها تابعا له[7].

---

(1) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 96.
(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ج $_6$، ص 267.
(3) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 158.
(4) ابن خلدون : نفس المصدر، ج $_6$، ص 267. ويورده أيضا صاكورة. نفسه، ج $_5$، ص 496.
(5) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 185.
(6) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 275.
(7) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 301.

وبعد أن استقل له الحكم، عزم ساكورة على السفر لأداء فريضة الحج، فمر بمصر التي كان على رأسها السلطان الناصر محمد بن قلاوون[1]، وفي طريق عودته بالقرب من جيبوتي قتل على أيدي الدناكل[2]، الذين كانوا يريدون ذهبه.

وعلى كل فقد تم تحنيط جثمان ساكورة من طرف أتباعه، وتم نقله إلى كانجابا، أين شيعت له جنازة على شاكلة مراسيم الدفن الملكية، إجلالا وعرفانا له على ما قدمه للمملكة[3].

وبهذا انتهت مدة حكم ساكورة، والتي دامت حوالي 15 سنة. ليعود الملك من بعده إلى آل كيتا، فتولى حكم المملكة قو بن السلطان ماري جاطة (سانديانا)، ثم تولى من بعده ابنه محمد بن قو[4]، ثم تولى من بعده أبي بكر الثاني الذي حكم مابين سنتي (710 – 712هـ)[5]، والذي إليه يعزى شرف محاولة اكتشاف ما وراء البحر المحيط، وذلك قبل وصول الأوربيين إلى تلك الجهات بحوالي قرنين تقريبا[6].

- **منسا موسى** : (712هـ - 1312م / 737هـ - 1337م)

بعد استشهاد أبي بكر الثاني انتقل الحكم من أسرة سانديانا إلى أسرة أخيه أبي بكر، فتولى أكبر أبناء هذا الأخير حكم المملكة، وهو منسا موسى[7]، وقد آل حكم المملكة إلى هذا هذا الأخير، الذي حكم من سنة (712هـ / 1312م إلى سنة 737هـ / 1337م)[8]، إلا أن المؤرخين مختلفون في هذا التاريخ، فمثلا يرجع ديلافوس مدة حكم منسا موسى إلى الفترة ما بين (1307 – 1332م)[9].

---

(1) A. Le Chatelier, op. cit, p 81.

(2) قبيلة من العرب الإفريقيين من أصل حامي. عبادتهم الأساسية الدكاكير والأشجار، ويدين كثير منهم بالإسلام من الناحية الإسمية. ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 98 (الهامش).

(3) Mourice Delafosse : op. cit, p 58.

(4) لوثروب ستودارد الأمريكي : **حاضر العالم الإسلامي**، تر، عجاج نويهض، تع، شكيب أرسلان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، 1394هـ / 1973م، مج 2، ج 3، ص 31.

(5) محمود شاكر : المرجع السابق، ص 121. إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، نفس المرجع، ص 302. (إلا أنه يحدد سنة ارتقاءه العرش عام 307هـ / 1303م).

(6) صلاح الدين المنجد : المرجع السابق، ص 5.

(7) نبيلة حسن محمد : المرجع السابق، ص – ص 216 – 217.

(8) عثمان برايما باري : **جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي**، دار الأمين، القاهرة، ط 1، 1421هـ - 2000م، ص 20. أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 187. حسين مؤنس : الإسلام الفاتح، المرجع السابق، ص 112.

(9) Mourice Delafosse : op. cit, p 58. .كذلك، عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 276. كذلك، نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 158.

يعتبر منسا موسى واحدا من أشهر السلاطين الذين تعاقبوا على عرش مملكة مالي، وأشهرهم على الإطلاق[1]، وقد أثنى عليه صاحب مرآة الجنان بقوله : « وهو شاب عاقل، عاقل، حسن الشكل، راغب في العلم، مالكي المذهب »[2]، ومما زاد في شهرة منسا موسى موسى رحلة الحج الشهيرة التي قام بها والتي ارتبط بها اسمه، وذلك عام 723هـ / 1324م[3]، حيث كان موكب منسا موسى يمثل إحدى أفخم مشاهد الثراء، وهو ما يعكس درجة الثراء الذي وصلت إليه المملكة في عهده، وقد اختلفت الروايات في تقدير أتباع منسا موسى، حيث قدرهم السعدي بـ 60 ألف رجل، و500 من العبيد يحمل كل واحد منهم عصا من ذهب تزن 500 مثقال[4].

وبالرغم من أن – بما لا يدع مجالا للشك – هاته الرواية تعتريها الكثير من المبالغة. إلا أن ذلك يعطينا صورة على الثراء الكبير الذي كانت عليه مملكة مالي آنذاك.
وعن الطريق الذي سلكه منسا موسى لبلوغ مقصده، فقد سلك طريق الصحراء[5] ؛ وهي الطريق الذي اعتاد سكان غرب إفريقيا اجتيازها.

---

(1) الخليل النحوي : **إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1999م، ص 16.
(2) أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي **: مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1417هـ - 1997م، ج 4، ص 204.
(3) شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم **: تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم**، دار الثقافة، القاهرة، 1996، ص 90.
(4) السعدي : المصدر السابق، ص 7. كذلك، John o. Lgué **: Les villes procolonials d' Afrique noire**, **Les villes anciennes du Mali**, Editions Karthala, 2008, p 28.
(5) ابن خلدون : المصدر السابق، ج 5، ص 496.

وعلى كل فقد مشى منسا موسى بهذه الطريق مرورا بولاته ثم توات[1]، ومن هذه الأخيرة أكمل مسيرته عن طريق غات المشهورة، مرورا ببرقة، ووصولا إلى القاهرة[2]، وقبل دخوله القاهرة مكث الركب المالي ثلاثة أيام بالجيزة تحت الأهرامات على سبيل الضيافة، ليمضي بعدها إلى القاهرة - وذلك يوم الخميس 16 رجب 724هـ -[3] التي كان بها السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد انبهر أهل مصر بفخامة القافلة المالية، انبهارا كبيرا وظلت هذه الزيارة راسخة في أذهانهم ردحا من الزمن[4].

وعندما حان موعد الحج أعد السلطان المملوكي للمنسا موسى كل الترتيبات والمستلزمات لقضاء فرضه، وأوعز لأمراء الركب باحترامه وتوفير كل أسباب الراحة له[5]، لتمضي قوافل الحجيج إلى مكة المكرمة. وقد أمدنا السيوطي بمحطات هذه الطريق، وهي : البركة – السويس – نخل – أيلة – حجز – حفل – بر مدين – عيون القصب – المويلحة – الألزم – الوجه – أكرى – الحوراء – نبط – ينبع – الدهناء – بدر – رابغ – خليص – بطن، وصولا إلى مكة المشرفة[6].

وقد فاض كرم منسا موسى على الحجيج بمكة المكرمة، وأجزل عليهم بالعطايا وتصدق بمال جسيم، قدره السعدي بعشرين ألف قطعة من الذهب[7]. وبها تأخر بعد انقضاء انقضاء موسم الحج، انكب خلالها على شراء الكتب الدينية، خاصة كتب الفقه المالكي، كما حرص على استقدام الفنيين والعلماء إلى مملكته[8]، من بينهم الشاعر الكبير، والمهندس

---

(1) John Hunwick : **Timbuktu & the Songhai empire Al – Sadi' s Tarikh – Soudan down to 1613 eother contemporary**, documents Brill, p 9.

(2) شوقي عبد القوي عثمان حبيب : **التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك (1250 – 1517م / 648– 922هـ)**، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص 54. عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 39.

(3) تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي : **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط $_1$، 1418هـ - 1997م، ج $_3$، ص 73. شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : **دول الإسلام**، تح وتع، حسن إسماعيل مروة، قرا وتق، محمد الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط $_1$، 1999م، ج $_2$، ص – ص 265 – 266.

(4) جمال عبد الهادي محمد مسعود، وفاء محمد رفعت جمعة : **إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا**، دار الوفاء، ط $_3$، 1991م، ص – ص 27 – 28.

(5) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج $_4$، المصدر السابق، ص 294.

(6) الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط $_1$، (1968م – 1387هـ)، ج $_2$، ص – ص 310 – 311.

(7) السعدي : المصدر السابق، ص 7.

(8) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 277.

المعماري الشهير أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن[1]، « فغمره بإرفاده، وصحبه معه إلى بلاده. فاستقر بأول أقاليم العرض وأقصى ما يعمر من الأرض »[2].

وبذلك قفل منسى موسى راجعا إلى مصر، وفي طريق العودة ظل الركب المالي الطريق وأصيب بنكبة كبيرة، حيث يذكر ابن خلدون أنهم تعرضوا للنهب[3]، ويقدم صاحب تاريخ حوادث الزمان رواية مشابهة، فيذكر في أحداث سنة 725هـ، تأخر ركب المنسا موسى في الوصول إلى مصر مدة ثلاثة أشهر، وذلك بسبب إغارات الأعراب عليهم وسلبهم لأموالهم[4].

هذا وقد كسب أهل مصر الكثير من وراء إقامة منسا موسى ببلدهم، أين أفاض كرمه على الجميع. ونتيجة لذلك انخفض سعر الذهب في مصر انخفاضا لم يسبق له مثيل، وبقي على ذلك حوالي 12 سنة. وكان تجار مصر من أكبر المستفيدين من هذه الزيارة، حيث استغلوا سذاجة وحسن نية أهل مالي، فرفعوا من قيمة سلعهم خمس أضعاف ما كانت عليه من قبل، وذلك لما وجدوه من إقبال كبير من قبل أهل مالي على سلعهم، لكن سرعان ما ساءت ظنون أهل مالي بأهل مصر، لما ظهر لهم منهم من تحايل وغش، حيث يقول العمري في ذلك : «... حتى أنهم لو رأوا اليوم أكبر أئمة العلم والدين وقيل لهم أنه مصري أمهنوه وأساءوا به الظن لما رأوا من سوء معاملتهم لهم... »[5].

إلا أن ذلك لم يمنع من إقامة علاقات دبلوماسية بين مملكة مالي ممثلة في منسا موسى، ومصر المملوكية ممثلة في السلطان الناصر محمد بن قلاوون. ويعود ذلك لموقع

---

(1) « أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن، العالم المشهور، الصالح المشكور، والشاعر المذكور، من أهل غرناطة، من بيت صلاح وثروة وأمانة... ارتحل عن الأندلس إلى المشرق فحج ثم سار إلى بلاد السودان، فاستوطنها... وبها توفي... يوم الإثنين 27 جمادى الأخيرة سنة 774 بتنبكتو ». أحمد بن محمد المقري التلمساني : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ / 1988م، مج $_2$، ص 194.

(2) لسان الدين بن الخطيب : **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط $_2$، 1393هـ - 1973م، مج $_1$، ص 330.

(3) ابن خلدون : المصدر السابق، ج $_5$، ص 496.

(4) شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي : **تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أنبائه المعروف بتاريخ ابن الجزري**، اعتنى بتحقيقه، عمر عبد السلام، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط $_2$، 1419هـ / 1998م، ج $_2$، ص 93.

(5) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج $_4$، ص 73.

مصر الذي كان في طريق الحج[1]، وقد تجسدت هذه العلاقات من خلال إرسال منسا موسى مكاتبة للسلطان الناصر يمهد فيها لمجيئه[2]، بالإضافة لتبادل الهدايا بين الطرفين، وتمثل ذلك في الهدية التي منحها سلطان مالي منسا موسى للسلطان المملوكي ابن قلاوون عند قدومه من الحجاز كتبرك له، وبالمقابل كان جواب السلطان المملوكي له بالخلع ولأصحابه ومرافقيه كذلك، بالإضافة إلى « التحف والألطاف من البز الإسكندري والأمتعة الفاخرة »[3].

وفي طريق العودة إلى مالي، وبالتحديد قرب نهر النيجر تناهت إلى أسماع منسا موسى أخبار عن استقلال إقليم سنغاي، فتوجه على الفور إلى جاو. ليتقدم له ملكها زياسبي ويقدم له ولديه رهينتين كفرض ولاء له[4].

وبهذا تنتهي رحلة الحج الشهيرة التي قام بها منسى موسى، والتي لفتت أنظار العالم، فتعدت شهرة مملكة مالي العالم الإسلامي لتصل إلى أوربا، حيث شاهد التجار الإيطاليون الموكب الضخم الذي اجتاز به منسى موسى ساحل البحر المتوسط أين كانوا متواجدين هناك. وبذلك تكونت – من خلالهم – لدى الأوربيين فكرة عن الثراء الفاحش الذي تتمتع به مملكة مالي الإسلامية[5]، ليتجسد اهتمام الأوربيين بثروات مالي – التي تنادت إلى أسماعهم – عن طريق الخرائط الجغرافية، التي صورت مملكة مالي بوصفها أغنى بلدان العالم آنذاك، والتي بمجرد سماع اسمها يتبادر إلى الأذهان المكان الذي يتواجد به الملك[6].

وقد رسمت مالي لأول مرة في الخرائط الأوربية عام 1339م، وذلك في خريطة أنجلو دولسرت، والتي وضحت طريقا يخترق جبال الأطلس إلى الصحراء الكبرى وصولا إلى أرض الذهب « ملك مناجم الذهب » (ينظر الملحق رقم 02)، بالإضافة إلى الأطلس

---

(1) القلقشندي : المصدر السابق، ص 296. كذلك، المقريزي : الذهب المسبوك، المصدر السابق، ص 142 (الهامش). كذلك، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني : **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، 1414هـ / 1993م، ج 4، ص – ص 383 – 384.

(2) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 99.

(3) القلقشندي : نفس المصدر، ص 296.

(4) Mourice Delafosse : op. cit, p 59.

(5) رونالد ويدز : **تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء**، تر، راشد البراوي، مكتبة الوعي العربي، دار المعارف، لبنان، 2001، ص 47.

(6) روسيل وورين هاو : **تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا**، تر، عبد الوهاب محمد الزناتي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2008، ص – ص 70 – 71.

الذي وضعه إبراهام كريسك بطلب من ملك فرنسا شارل الخامس والذي ظهر فيه أيضا اسم مملكة مالي[1].

وعليه فقد بلغت مملكة مالي ذروة مجدها وازدهارها في عهد منسا موسى، ولعل رواية محمود كعت تعطينا صورة واضحة عن حالة الازدهار التي عاشتها المملكة في عهد منسا موسى، حيث يقول : « (...) وكنا نسمع من أعوان عصرنا يقولون سلاطين الدنيا أربعة ما خلا السلطان الأعظم (يقصد به السلطان العثماني) سلطان بغداد وسلطان مصر وسلطان بِرَنْ وسلطان مَلْ (...) »[2]، حيث امتدت لتصل إلى البحر المحيط غربا، وإلى حدود مملكة كانم – برنو شرقا[3]، فسيطرت على مناجم النحاس في تكدا، أما بالنسبة للحدود الشمالية فقد وصلت إلى تادمكة ودخلت في طاعة منسا موسى قبيلة ينتصر ونيتغراس ومدوسة ولمتونة، إلا أن تادمكة سرعان ما استقلت عن المملكة، وبذلك فقد سيطرت عليها برهة من الزمن فقط[4]، كما أدخلت إلى دائرة نفوذها أيضا مناجم الملح في تغازى شرق ولاته، أما حدودها الجنوبية فبقيت غامضة نوعا ما، إلا أنه على الأرجح أن العاصمة نياني شكلت آخر نقطة كحد أقصى للحدود الجنوبية للمملكة، وذلك يعني أنها سيطرت أيضا على مناجم الذهب في بوري وغالم وبامبوك، لتبقى بذلك المنطقة الاستوائية خارج حدود المملكة[5] (ينظر الملحق رقم 04).

هذا وقد تجسدت أواصل العلاقات الدبلوماسية بين مملكة مالي والمغرب الأقصى في عهد منسا موسى الذي بادر بإرسال تهنئة إلى السلطان المريني أبي الحسن بالانتصارات التي أحرزها في تلمسان[6]، وقد تمثلت في إرسال فرانقين ؛ وهو أحد رجال البلاط المالي

(1) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 305.
(2) محمود كعت : المصدر السابق، ص 38.
(3) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص 374.
(4) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 109.
(5) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص، ص 187، 189.
(6) إبراهيم حركات : **المغرب عبر التاريخ**، عرض لأحداث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر (ق 14هـ - 20م) ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط $_1$، مج $_2$ (من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين)، 1398هـ - 1978م، ص 92.

وبصحبتهما ترجمان من ملثمي صنهاجة[1]، حيث هنؤوه بانتصاره على بني عبد الواد، هذا ما جعل السلطان المريني بالمقابل يكرمهم ويحسن وفادتهم واستقبالهم[2].

وتوفي منسا موسى عام 738هـ / 1337م، بعد حوالي ربع قرن من الحكم، وترك وراءه إمبراطورية مترامية الأطراف أطبقت شهرتها الآفاق[3].

ليتولى أمر المملكة من بعده ابنه منسى مغا، وتعني مغا بلغة الماندي ؛ محمد، أي السلطان محمد والذي لم يدم حكمه سوى أربع سنوات[4]، وشهدت المملكة في عهده تخريب تخريب مدينة تمبكتو على يد قبائل الموش الوثنية[5]. بالإضافة إلى فرار ولدي ملك سنغاي الذين أخذهما والده منسا موسى رهينتين[6].

- **منسا سليمان** : (742هـ - 1341م / 762هـ - 1360م)

تولى حكم المملكة بعد منسا مغا، منسا سليمان بن أبي بكر شقيق منسا موسى، ويذكر ابن خلدون أنه تولى حكم المملكة مدة 24 سنة[7]، بينما يحدد المؤرخ الهادي المبروك الدالي فترة حكم منسا سليمان (من سنة 742هـ / 1341م إلى سنة 762هـ / 1360م)[8]، حرص خلالها على توطيد الحضور الإسلامي بالمملكة، فصرف جهوده إلى بناء المساجد، كما عمل على استقطاب فقهاء المالكية إلى بلاده. أما فيما يخص حدود المملكة على عهد منسا سليمان، فتفيد رواية العمري أنها بقيت على نفس حدودها زمن منسى موسى بقوله : «... بيده ما كان قد جمعه أخوه مما فتحه من بلاد السودان... »[9].

هذا وقد استمرت العلاقات الودية مع المغرب الأقصى، حيث أرسل السلطان أبي الحسن المريني مقابل وفادة منسا موسى، وفادة إلى مالي وصلت على عهد منسا سليمان،

---

(1) محمد عيسى الحريري : **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ / 1213م) (869هـ / 1465م)**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط 2، 1408هـ - 1987م، ص 222.

(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ج 7، ص 353.

(3) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 63.

(4) ابن خلدون : نفس المصدر، ج 6، ص 268.

(5) السعدي : المصدر السابق، ص 8.

(6) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 305. كذلك، جوان جوزيف : المرجع السابق، ص 82.

(7) ابن خلدون : نفس المصدر، ج 6، ص 268.

(8) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع ، ص 63.

(9) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 59. كذلك، إلا أن السعدي يذكر أن جاو خرجت عن سلطنة مالي بعد هروب ابني ملك سنغاي في عهد منسا مغا. السعدي : نفس المصدر، ص 6.

كان وصولها حسب ديلافوس سنة 1336م[1]، كما حمل هذا الوفد أصنافا من الهدايا من خزائن دار السلطان، حيث وصفت أنها تزيد في الذخائر عن الهدايا المقدمة للسلاطين الأخرى[2]، وقد تقبل السلطان منسا سليمان تعازي الوفد وأكرم ضيافتهم، وتأكيدا منه على استمرار العلاقات أرسل منسا سليمان مع الوفادة المغربية سفارة ترأسها الحاج الونجراتي[3].

وقد توفي منسا سليمان قبل وصول هديته، حيث وصلت لمنطقة الأرس من والاتن، وكذا أخذت يد المنية السلطان أبي الحسن المريني[4]، لتتوقف العلاقات بين البلدين بعدها مدة من الزمن.

مرحلة أفول وانهيار المملكة :

بعد عهد الازدهار الذي بلغته مملكة مالي (خاصة عهدي منسا موسى ومنسا سليمان)، بدأ الضعف والاضمحلال ينخر جسد المملكة. وعليه فكما كان لحكام المملكة الأقوياء دور أساسي في قيامها وازدهارها، بالمقابل لعب حكامها – الضعاف طبعا – دورا أساسيا في اضمحلالها ونهايتها[5]، فبعد وفاة منسا سليمان تولى ابنه قسا بن سليمان، ولم تدم تدم ولايته سوى 9 أشهر[6]. لتشهد المملكة بعد ذلك اضطرابات سياسية حادة تمثلت في الصراع على الحكم بين الطامعين في عرش المملكة من خارج أسرة منسا موسى[7]، ونجح ونجح ماري جاطة بن منسا مغا بن منسا موسى[8] في قيادة انقلاب على ابن عمه كاسا (قسا)، وتمكن من الإمساك بزمام الحكم في المملكة، كان هذا الأخير من أضعف الملوك

---

(1) Mourice Delafosse : op. cit, p 61.

(2) محمد بن مرزوق التلمساني : **المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، درا وتح، ماريا خيسوس بيغيرا، تق، محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401 – 1981، ص 454.

(3) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 70.

(4) Mourice Delafosse : **Haut – Sénégal – Niger (Soudan français)**, libraire – éditeur, Paris, 1912, tome 2, L' histoire, p 193.

(5) حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق، ص 138.

(6) ابن خلدون : المصدر السابق، ج $_6$، ص 268.

(7) فيج. جي. دي : **تاريخ غرب إفريقيا**، تر وتق وتع، السيد يوسف نصر، مرا، بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، ط $_1$، 1982م، ص 61.

(8) ابن خلدون : نفس المصدر، ج $_6$، ص 269.

الذين تعاقبوا على عرش مالي، حيث أولى ملذاته الشخصية على حساب العناية بشؤون المملكة، فكثر إسرافه واستنفذ كنوز المملكة[1].

وبعد توليه الحكم استأنف ماري جاطة العلاقات الدبلوماسية مع المملكة المغربية، فأصدر أوامره بإكمال مسيرة الوفادة التي أرسلها منسا سليمان إلى المغرب بعد أن أضاف إليها حيوان الزرافة ذو الشكل الغريب، والهيكل الكبير، وكان وصولها إلى فاس في صفر 762هـ[2] / 1360م على عهد السلطان أبي سالم المريني الذي رحب بالوفد، وكان هذا اليوم يوما مشهودا[3]، حيث عرفت المنطقة ازدحاما عظيما لرؤية الزرافة التي أنشدوا فيها أشعارا[4]، وفيها قال ابن خلدون :

ورقيقة الأعطاف جالية * * * موشية بوشائع البرد

وحشية الأنساب ما أنست * * * في موحش البيداء بالقود[5].

وقد أقبل الوفد على السلطان ليسلموه الرسالة مؤكدين على الإخلاص والود، كما قدموا اعتذارهم على تأخر الوفادة، لتتوقف بعدها العلاقات بين مملكة مالي والدولة المرينية ؛ ومرد ذلك لتدهور أمور الدولتين الذي قرب نهايتهما، فمالي بسبب مرض سلطانها ماري جاطة بتعرضه للسعة حشرة أدخلته مرحلة نوم عميق، أما المرينيين فقد أدى تدهور أوضاعهم الداخلية إلى انعكاس سلبي على علاقاتهم الخارجية[6]، وبذلك توفي ماري ماري جاطة عام 1374م، بعد حكم دام 14 سنة (من 1360 إلى 1374)[7].

ليأتي من بعده منسا موسى (الثاني) ابن ماري جاطة، الذي حاول أن يعيد أمور المملكة إلى نصابه. وحدث أن قام وزيره ماري جاطة – الذي اشتهر بحسن التدبير – بحملات عسكرية إلى البلاد المجاورة[8]. وبذلك كان ماري جاطة الوزير الذي استأثر بمقاليد الحكم في عهد موسى الثاني آخر حاكم قوي لمالي. لتشهد المملكة حروبا أهلية،

(1) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 113.
(2) ابن خلدون : المصدر السابق، ج 7، ص 411.
(3) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 70.
(4) ابن خلدون : نفس المصدر، ج 7، ص 411.
(5) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون بو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي : **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (736 – 808هـ)** مخطوط ، جامعة الملك سعود، 1957، ورقة 6.
(6) عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص، ص 42، 44.
(7) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص – ص 279 - 280.
(8) ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 269.

واضطرابات سياسية، فحكم منسى مغا أخو موسى الثاني، وقتل بعد نحو عام من الحكم (من 789 – 790هـ)[1]، واغتصب صندكي زوج أم موسى (الثاني) الحكم، وفي عهده قامت حروب أهلية تمكن من خلالها منسا مغا (الثالث) من الوصول إلى الحكم عام 792هـ، بادعائه أنه من أحفاد سانديانا « اسمه محمود ينسب إلى منسا قو بن منسا ولي بن ماري جاطة الأكبر »، حسب رواية ابن خلدون[2].

وبذلك كانت الاضطرابات السياسية، والحروب الأهلية التي شهدتها المملكة نذيرا بأفولها.

وقد أحسنت الإمارات ومقاطعات المملكة الطامحة في الاستقلال، استغلال ضعف السلطة المركزية لتخرج عن دائرة نفوذها، حيث توالت عليها الهجومات من كل جانب كانت أبرزها هجومات إمارة سنغاي[3]، فمنذ أن تمكن أميري سنغاي من الفرار إلى كوكو حتى أصبح علي كلن سلطانا على سنغاي « وقطع حبل الملك عن أهله من سلطان مالي »[4]. كما تعرضت المملكة من حدودها الجنوبية إلى إغارات قبائل الموسي القاطنة على شواطئ نهر فولتا العليا[5]، أما من الناحية الغربية فقد تعرضت المملكة إلى هجومات الفولانيين والتكارنة[6].

كما سنحت الفرصة أيضا للعديد من القبائل الأخرى – على غرار سنغاي – كي تنال من الوحدة السياسية للبلاد، فقام الطوارق بشن العديد من الغارات على المملكة، واستولوا على تمبكتو عام 1433م[7]، باعتبارهم أصحاب الشرعية عليها، وذلك كونها تأسست على أيديهم، ونجحوا في الاستقلال بحكم المدينة مدة من الزمن[8].

وأمام التوسعات الخطيرة التي قادها ملوك سنغاي على حساب مملكة مالي، استنجد سلطان مالي محمود (أو محمد) بالأتراك العثمانيين عام 1481م، إلا أنه لم يجد منهم آذانا

---

(1) القلقشندي : المصدر السابق، ص 267.
(2) ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 270.
(3) القاموس الإسلامي للناشئين والشباب : المرجع السابق، ص 72.
(4) السعدي : المصدر السابق، ص 6.
(5) جوان جوزيف : المرجع السابق، ص 77.
(6) جلال يحي : المرجع السابق، ص 39.
(7) A. Le Chatelier : op. cit, p 36.
(8) علي محمد عبد اللطيف : **تمبكتو أسطورة التاريخ**، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط 1، 2001، ص – ص 88 – 89.

صاغية له. هنالك اضطر إلى طلب نجدة البرتغاليين[1]، فقام الملك البرتغالي يوحنا الثاني عام 1481م بإيفاد سفارتين إلى مالي الأولى إلى غامبيا، والثانية إلى حصن المينا. أين استقبلهما منسى محمود، الذي كان أول ملوك مالي الذين قاموا باستقبال سفارة أوربية إلى مالي[2].

ومع تزايد ضربات الوكولور والفلاني والبمبرة لمملكة مالي استنجد منسا محمود مجددا بالبرتغاليين ضد اغارات الفلانيين، ونجح في إبعاد خطر هؤلاء الأخيرين عن المملكة[3]، لكن ذلك فتح الباب للأطماع البرتغالية التي ستتحول فيما بعد إلى استعمار[4].

كما لا يخفى على أحد أيضا أنه باستقلال منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر – التي تتوفر على أهم محاور التجارة الصحراوية – عن المملكة مع بداية القرن 9هـ / 15م، فقدت مالي أهم عامل كان له دور كبير في ازدهارها، وعلى ذلك فرضت عليها حالة من العزلة الاقتصادية التي بدورها عرقلت عملية التواصل الثقافي والحضاري بين مملكة مالي والعالم الإسلامي، هذا الأخير الذي بات يشهد حالة من الانحطاط الثقافي والحضاري[5].

وبذلك أفل نجم مملكة مالي الإسلامية نهائيا عن المسرح السياسي في السودان الغربي، لتستلم مملكة سنغاي الإسلامية السيادة عليها.

هذه أبرز معالم الحياة السياسية لمملكة مالي، والتي تشبه كثيرا ما كانت عليه الممالك الإسلامية.

وجملة القول أن التنظيم السياسي لهاته المملكة قد استمد كثيرا من مقوماته من النظم والممالك الإسلامية، كما أن دراستنا لهذا الجانب سيساعدنا على فهم باقي الجوانب الأخرى، خاصة الاجتماعية والاقتصادية.

---

(1) حسين مؤنس : الإسلام الفاتح، المرجع السابق، ص – ص 113 – 114.

(2) مادينا لي – تال : **تدهور إمبراطورية مالي**، تاريخ إفريقيا العام، (اليونسكو)، بيروت، لبنان، مج 4 (إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)، 1988م، ص 194.

(3) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 117.

(4) حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام، المرجع السابق، ص 374.

(5) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 199.

الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية في مملكة مالي الإسلامية.

المبحث الأول : السكان.

المطلب الأول : أصل السكان.

المطلب الثاني : الطبقات الاجتماعية.

المطلب الثالث : السكن.

المبحث الثاني : الحياة الأسرية ومكانة المرأة.

المطلب الأول : الحياة الأسرية.

المطلب الثاني : تربية الأبناء.

المطلب الثالث : مكانة المرأة.

المبحث الثالث : العادات والتقاليد.

المطلب الأول : الأطعمة والأشربة.

المطلب الثاني : لباس أهل مالي واحتفالاتهم في المناسبات.

المطلب الثالث : العادات الحسنة والسيئة.

بعد تعرفنا في الفصل الأول على ملامح الحياة السياسية في مملكة مالي، من التسمية والتنظيم الإداري وأشهر السلاطين، سنعرج في هذا الفصل للحديث عن الجانب الاجتماعي للمملكة وأبرز مميزاته.

المبحث الأول : السكان :

المطلب الأول : أصل السكان :

ينتمي أهل السودان عموما إلى الجنس الأسود[1]، في حين تعددت الروايات التاريخية في تحديد نسل السودان، إذ اتفق كل من ابن عبد الحكم، والطبري، والناصري، في اعتبار أن السودان هم أبناء حام بن نوح، حيث أن حام هو أبو السودان وأبو كل أسود أجعد الشعر[2]، وقد أكد ابن الجوزي على أن السودان هم أبناء حام بن نوح، إذ قال: « ولد لنوح [عليه السلام] سام وحام ويافث، فأما سام فأبو العرب وفارس والروم، وأما يافث فأبو يأجوج ومأجوج والخزر أي الترك، وأما حام فهو أبو هذه الجلدة السوداء »[3].

أما المسعودي، والقزويني فقد اتفقا على أنهم أبناء كوش بن كنعان بن حام[4]، وبالنسبة لمحمود كعت فخالفهم الرأي واعتبر أن السودان ما هم إلا مهاجرون هاجروا من اليمن، وسبب ذلك الظلم، والاستبداد الممارس من قبل ملوك اليمن على السكان في تلك الفترة، حيث وبسبب التضييق الذي تعرضوا له هاجروا إلى ساحل البحر المحيط من الناحية الجنوبية[5].

أما ابن الجوزي فقد أورد روايتين الأولى مفادها أن أولاد نوح [عليه السلام] اقتسموا الأرض، حيث نزل بنو حام مجرى الجنوب، فتغيرت ألوانهم ؛ وبالتالي فبسبب

---

(1) نبيلة حسن محمد : **في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطية، ص– ص 195 - 196.

(2) ابن عبد الحكم : **فتوح مصر والمغرب**، تح، عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001م، ج $_1$، ص – ص 9 - 10. كذلك، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري : **تاريخ الأمم والملوك**، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط $_4$، 1387هـ / 1967م،ج $_1$، ص 223. كذلك، أبي العباس أحمد بن خالد الناصري : **كتاب الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة السعدية**، تح وتع، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، الإسكندرية، 1955، ج $_5$، ص 99.

(3) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي : **تنوير الغبش في فضل السودان والحبش**، تح، مرزوق علي إبراهيم، تق، حامن بشير، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، ط $_1$، 1419هـ / 1998م، ص 33.

(4) أبو الحسن علي بن علي المسعودي : **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، الدار العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1989م، مج $_1$، ص 329. القزويني : المصدر السابق، ص 22.

(5) محمود كعت : المصدر السابق، ص 25.

طبيعة مناخ المنطقة الذي تميز بشدة حرارته وجفافه، مما أدى إلى تغير لون البشرة إلى السواد، أما الرواية الثانية فتمثلت في أن حاما انكشفت عورته فلم يغطها فاسودت[1].

وقد وضح لنا السعدي أن أصل سكان مالي سودان وذلك في قوله : « أهل ملى وهم سودان في الأصل »[2].

وقد انقسم هؤلاء السودان لعدة قبائل وشعوب، منها قبائل الماندينجو التي يتألف منها شعب مالي[3]، إذ يعتبرون السكان الأصليين لمملكة مالي، فعرفوا بكونهم سادة المنطقة، واتصفوا بشدة سوادهم رجالا ونساء[4]، والماندينغو معناها حسب لغة السوننك ؛ وهم أحد فروع الماندنج ؛ « مركز إقامة السيد أو الحاكم، وبمعنى آخر العاصمة »، بالإضافة إلى أنه يوجد معنى آخر لهذه الكلمة، إذ أنها منقسمة إلى قسمين (ما) تدل على معنى الأم، و(دنج) تعني الطفل، أو الابن، وبذلك معنى كلمة الماندينغو « ابن الأم »[5]، وهي أيضا تعبير لغوي لغوي أطلق على عدة قبائل تحمل أسماء مختلفة منها الملنكي والبامبارة، والديولا، والخاسونكي، والسوننكي[6]، وهذه التسميات هي فروع للماندينغو تميزت بكونها سلالة موحدة، وبرزت منها ثلاثة فروع وهي :

***الملنكي :** اسم اشتق من فرس البحر **ملى (Mali)** أو**ماري** بمعنى أن الملنكي تعني أتباع فرس النهر، ولكن حرف الكاف لا يمكن أن يضاف إلا إلى اسم بلد أو قبيلة، ومنه الملنكي اسم لإقليم كان مهد أصلهم.

***البامبارة :** وتعني باللغة العربية الكافر، وأطلقوا على أنفسهم تسمية بَمْنَهْ bamana أو بَمَنْكَهْ bamenka وهو مشتق من بَمَهْ ومعناها تمساح، وهذا الحيوان يعتبر مقدسا عندهم إذ يتخذونه طوطما لهم.

---

(1) ابن الجوزي : المصدر السابق، ص 35.
(2) السعدي : المصدر السابق، ص 9.
(3) كولين ماكيفيدي : **أطلس التاريخ الإفريقي**، تر، مختار السويفي، مرا، محمد الغرب موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1987، ص 79.
(4) هوارد . س : المرجع السابق، ص 38.
(5) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص – ص 48 – 49.
(6) عصمت عبد اللطيف دندش : **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430 – 515 هـ / 1038 –1121م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط $_1$، 1408هـ / 1988م، ص 45.

***الديولا :** أو الجيولا، أغلبيتهم تجار، يتجمعون في جاليات صغيرة، كانوا قد اعتنقوا الإسلام منذ وقت مبكر[1].

ومن بين الصفات التي تميز بها سكان مالي هي الطول، والنحالة، وغزارة شعر اللحية في حال مقارنتهم بسائر الزنوج، أما بشرتهم فكانت ذات سمرة خفيفة[2]، وقد عرفوا على أنهم من أرقى أجناس إفريقيا وأكثرهم ذكاء وفطنة، وأجدرهم بالاحترام، والتقدير، وهم الذين حملوا لواء الإسلام في تلك المناطق[3].

وأما عن نشاطهم البشري فقد تركز في الزراعة، والرعي، والصيد، وكان هذا النشاط يمارسه السكان الذين يتمركزون في الجنوب وهم ذوي أصول زنجية، أما في الوسط، والشمال فقد كان السكان ذوي أصول عربية، ويمارسون التجارة، حيث أن المملكة بشكل عام كانت من حيث السكان على أصلين زنجي وعربي[4].

ولقد كانت مملكة مالي الإسلامية تتميز بكثافة سكانية عالية، هذا بسبب تعدد القبائل فيها، حيث أن قبيلة البمبارا هي أكبر قبيلة، إذ تمثل 41٪ من مجموع السكان[5]، وبحكم أن سكان مالي كانوا يتوزعون بشكل عام على أصلين عربي وزنجي، فبالنسبة للقبائل العربية كان يختلط فيهم الفُلاَنِيينْ، ولكون هذه المملكة إسلامية، ومؤسسيها مسلمين، وبالتالي نسبة السكان المسلمين كبيرة تقدر بـ70٪، أما نسبة الوثنيين فقدرت نسبتهم بـ25٪، والباقي هم مسيحيون ونسبتهم5٪[6]، وعليه قد كانت مملكة مالي الإسلامية آهلة بالسكان إذ تراوح عدد سكانها مابين40 و50 مليون نسمة، وكانوا قد تركزوا في المناطق السهلية نتيجة تميزها بلطافة المناخ، حيث توفرت فيها المناطق الرعوية بكثرة مما أدى بسكان هذه

---

(1) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص - ص 236 – 238.
(2) عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق، ص 45.
(3) توماس أرنولد : **الدعوة إلى الإسلام**، تروتع، حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، الجيزة، ط$_1$، 1947، ص 277.
(4) حامد عثمان : المرجع السابق، ص 216.
(5) حسان حلاق : **تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر**، دار النهضة العربية، بيروت، ط$_1$، 2000م، ص 39.
(6) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص - ص 286 - 287.

المنطقة لممارستهم الرعي وتركزوا أيضا على ضفاف الأنهار، ومن المدن التي تركز فيها السكان هي تكرور، وكومبي، وولاته، وتومبوكتو[1].

ومنه يعتبر الماندينغ أصل سكان مالي وهم أرقى أجناس إفريقيا، كان لهم دور في صنع تاريخ مملكة مالي الإسلامية[2].

المطلب الثاني : الطبقات الاجتماعية :

من المعروف أن المجتمع في مالي كان مجتمعا قبليا، يقوم على ولاء الفرد لقبيلته والتعصب لعشيرته، التي هو مدين وملزم بها ولا شيء غيرها[3]، لذا فقد كان من الطبيعي أن يهيمن النظام الطبقي على هذا المجتمع[4]، فنجد مثلا أن المجتمع في عهد سانديانا يتكون يتكون من ثلاثين طبقة مقسمة على حسب القبائل المتحالفة معه، فمنها خمس طبقات للصناع اليدويين وأربع للمحاربين، وخمس طبقات للعلماء والمرابطين، وست عشرة للفلاحين والعمال الذين كانوا يسمون « عبيد المجتمع »، وكان يعتمد على هؤلاء الآخرين في أوقات الحرب كجنود مشاة[5]، وتختلف هذه الطبقات في مستوياتها ومسؤولياتها، وأنماط وأنماط معيشتها، وعليه يمكن تقسيم طبقات المجتمع على حسب آراء المؤرخين - وإن لم يجمعوا عليها - إلى 5 طبقات أساسية كالآتي :

أولا : طبقة الملك وأفراد أسرته : اعتلت هذه الطبقة هرم التنظيم الاجتماعي، فقد كان الملك في مالي يحظى بقداسة كبيرة فهو في اعتقادهم لا يشبه البشر في شيء، وباعتباره كذلك فهو معفى من الأكل والشرب[6]، لذلك نجده لا يأكل في حضور أحد مطلقا ويكون تناوله للطعام بطريقة سرية[7]، وتجسد قصور الملك إحدى مظاهر الهيبة التي يحظى بها

---

(1) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص – ص 166 - 167.

(2) David.c.Conrad : **Great empires of the past, Empires of medieval west Africa Ghana Mali**, **and Songhai**, Chelser house publishers, p 93.

(3) عطية مخزوم الفيتو ري : المرجع السابق، ص 263.

(4) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 80.

(5) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص- ص 300 - 301.

(6) فيج. جي. دي : المرجع السابق، ص 26.

(7) القلقشندي : المصدر السابق، ص 301.

من خلال إحاطتها بكل مظاهر الأبهة والفخامة التي تميزها عن باقي الأبنية، وعادة ما يكون على أبواب القصر عبيدا يحملون رماحا[1].

هذا وقد ظل الملك يتمتع بكثير من الهيبة والوقار حتى بعد انتشار الإسلام في المملكة، والشيء الجدير بالذكر أن ملوك مالي كانوا سباقين في اعتناق الإسلام على العامة، حيث دان أولى ملوك مالي (المسلماني) بالإسلام على يد أحد الدعاة المسلمين في النصف الأول من القرن5هـ[2].

وقد ركز الدعاة المسلمون لدعوة الملوك إلى الإسلام عمدا بعد إدراكهم أن إسلام هذه الطبقة من شأنه اقتفاء الرعية نهج ملوكها، وبالتالي الدخول إلى الإسلام[3].

وينم هذا السلوك الصادر من الرعية على مدى الهيبة، والوقار التي يحظى بها الملوك عند رعيتهم، حيث يذكر ابن بطوطة أنهم يحلفون باسمه فيقولون « منسا سليمان كي »[4]، كما يتمتع السلطان في المملكة « بحق السيد »، حيث له الحق في امتلاك النساء بغير تزويج واتخاذ ما يشاء منهن كمحضيات وجواري، واتخاذهن خليلات[5]، بالإضافة إلى أنه لا يتكلم مع أي شخص مباشرة بل يكون هناك بين السلطان ومخاطبه واسطة متمثلا في ترجمان الملك، الذي يعرف بالدوغا[6].

وتعتبر القداسة التي يحظى بها الملك في غاية الأهمية لفهم طبيعة النظام الاجتماعي والتي لولاها لما كان لتلك الممارسات التي تجرى في البلاط الملكي - كعادة اقتراب الشخص من الملك زاحفا، وعادات العطس، والتتريب، وغيرها من العادات المقدسة لشخص الملك - معنى[7].

---

(1) عبد القادر زبادية : **دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010، ص 19.
(3) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 102.
(3) مبروك مقدم : المرجع السابق، ص 230.
(4) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 240.
(5) ك. مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 474.
(6) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص 239.
(7) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 466.

هذا وقد كان أفراد الأسرة المالكة أصحاب حضوة ونفوذ، وكانت لهم امتيازات كبيرة، وقد كان الملك يعهد إليهم بتولي مقاليد الحكم في حالة غيابه، وهو ما قام به منسى موسى الذي استناب ابنه محمد في تسيير أمور المملكة خلال فترة غيابه برسم أداء فريضة الحج[1].

ثانيا : طبقة الأمراء والنبلاء العسكريين : تلي هذه الطبقة طبقة الملوك في سلم التنظيم الاجتماعي وتتكون من :

1. أمراء المقاطعات :

تتمتع هذه الطبقة بامتيازات واسعة، وتتكون عادة من رؤساء القبائل[2]، وقد حرص ملوك مالي على منحهم هذا الامتياز بهدف المحافظة على تماسك المجتمع باعتباره مجتمعا قبليا، تتحكم فيه العصبيات القبلية، والنعرات الطائفية أكثر من أي عامل آخر[3]، وأكثر من ذلك فقد جعل ملوك مالي هذا الامتياز وراثيا، والهدف من وراء ذلك ضمان حسن سلوك الأمراء والاطمئنان إلى عدم شق عصا الطاعة عليهم بما أن أبناءهم تحت قبضته[4].

كما كان الملوك يسعون لتحقيق هذا الهدف من خلال أخذ أبناء رؤساء القبائل رهائن عندهم طيلة مدة حكم أبائهم وهو ما فعله منسى موسى عندما أخذ أميري جاو كرهينتين[5].

2. النبلاء العسكريون :

تتكون هذه الطبقة من العناصر المنتسبة إلى الفاتحين[6]، وهي خليط من شعوب الماندينغو، والعرب المتوطنين بالمملكة، بالإضافة إلى عناصر من فروع أخرى[7]، وقد

---

(1) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 69.
(2) عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي على عهد الأسيقيين، المرجع السابق، ص 22.
(3) نور الدين شعباني : **دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء بين القرنين الخامس والتاسع للهجرة / الحادي عشر والخامس عشر للميلاد**، دورية كان التاريخية، العدد 14، ديسمبر 2011، ص 51.
(4) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 473.
(5) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 304.
(6) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 165.
(7) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 73.

ظهرت هذه الطبقة في عهد سانديانا الذي يرجع له الفضل في تأسيس جيش قوي للمملكة[1].

ولقد لعبت طبقة النبلاء العسكريين دورا محوريا في توسيع رقعة المملكة، حيث تمكنت من ضم مناطق واسعة، ومهمة إلى نفوذ المملكة التي تحولت بفضل حملاتهم إلى إمبراطورية مترامية الأطراف[2]، وقد كانت لهذه الطبقة من هيبة وقوة ما جعل بعض الزعماء المغاربة المخلوعين يستنجدون بها لاستعادة عروشهم الضائعة[3]، وباعتبارهم أصحاب صلاحيات واسعة، ورتب عالية في الجيش، فكثيرا ما يكون أفراد هذه الطبقة مصدرا للقلاقل، والاضطرابات التي تحدث بالمملكة[4]، ويحدث نتيجة لذلك أن يصل أفراد هذه الطبقة إلى السلطة على غرار ساكورة[5]، أما عن الامتيازات التي تمنح إلى هذه الطبقة، بالإضافة إلى رواتبهم الكبيرة فتتمثل في إقطاعهم أراضي واسعة، كما هو الحال لمنسا علي الذي منح اقطاعات كبيرة لكبار قادته[6]، بالإضافة إلى الخيل والقماش[7].

ثالثا : طبقة الحدادين (السحرة) : انتظمت هذه الفئة مكونة طبقة اجتماعية منذ عهد سانديانا الذي قسم الحرفيين إلى طبقات، وجعل الحدادين إحدى هذه الطبقات التي جعلها مهنا وراثية أين يلزم الابن بمزاولة حرفة والده[8]، وقد أوجدت هاته الطبقة لنفسها مهابة كبيرة كون جل أفرادها من السحرة، وتنتظم هذه الطبقة في جمعيات سرية تمارس فيها طقوسها وممارساتها الغريبة التي ترهب نفوس العامة، فتجدهم يخرجون في دجى الليل بزي غريب مخيف بهدف اكتساب نفوذ كبير لهم لدى العامة[9].

رابعا : طبقة العامة : تتكون هذه الطبقة من غالبية أهل المملكة، وتحتل مرتبة متدنية في سلم التنظيم الاجتماعي، لها طريقة عيش خاصة مغايرة للطبقات الأخرى، ويمكن أن ندرج ضمن هذه الطبقة عدد من الفئات الاجتماعية والتي هي :

---

(1) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق، ص 103.
(2) عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، المرجع السابق، ص 23.
(3) ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 267.
(4) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 473.
(5) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 73.
(6) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 301.
(7) القلقشندي : المصدر السابق، ص 299.
(8) نياني (ج. ت) : نفس المرجع، ص - ص 145 - 146.
(9) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص - ص 120 – 121. كذلك، دنيس بولم : **الحضارات الإفريقية**، تر، علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص - ص 122 - 123.

• **الفلاحون :** تشغل هاته الفئة قاعدة واسعة من طبقة العامة المسحوقة، فهم الذين يتحملون عبء الضرائب ويدفعون ثمن غريمة الحروب التي كثيرا ما تخرب حقولهم[1].

• **العمال اليدويون :** تعتبر هذه الفئة وضيعة في المجتمع ويمارس أفراد هاته الطبقة أعمال يدوية كالخزف، والحياكة، والصباغة[2].

• **الموسيقيون :** تشغل هذه الفئة الحيز الأكبر من الطبقة العامة فمن المعروف على الأفارقة بصفة عامة استهواؤهم، وعشقهم للموسيقي[3]، التي كانوا يمارسونها في كل الأوقات في الأعياد، والمناسبات، وحتى أثناء الحروب، وذلك ليدخلوا الحرب بشجاعة وكذا لإخافة عدوهم، وقد تأخذ هذه الممارسة طابعا شعبيا[4]، أو رسميا حيث يتمثل دورهم في مرافقة الركب الملكي، والدق على الطبول، والطنابر والبوقات[5]، أما في البلاط السلطاني فيتمثل دورهم في العزف على مختلف الآلات الموسيقية بغرض تسلية الملك[6].

خامسا : طبقة العبيد : وهي الطبقة المسحوقة في المجتمع، يعيش أفراد هذه الطبقة تحت وطأة أقدام سادتهم من الملوك والخضوع التام لهم باعتبارهم ملكا لهم[7].

وتعد هذه الطبقة أكثر طبقات المجتمع استغلالا - حيث كانت تمثل قوة منتجة خاصة في المجال الاقتصادي - فيستخدمون في فلاحة الأرض، والعمل في المناجم، كما يعهد إليهم حراسة القوافل التجارية، بالإضافة إلى استخدامهم في الأعمال المنزلية، وكثيرا ما كان الملوك يتخذونهم كحرس لهم[8].

وقبل أن نترك الحديث عن طبقات المجتمع، نود أن نبين كيفية تأثير الإسلام على طبقات المجتمع في مالي، إذ عمل الإسلام بفضل مبادئه الداعية إلى المساواة والتآخي إلى

---

(1) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 477.
(2) دنيس بولم : المرجع السابق، ص 124.
(3) الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 87.
(4) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص – ص 86 - 87.
(5) القلقشندي : المصدر السابق، ص 301.
(6) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 309.
(7) فيج. جي. دي : المرجع السابق، ص 60 .
(8) فاطمة بلهواري : **العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال القرن 4هـ / 10م**، دورية كان التاريخية، العدد العاشر، 1431هـ / 2010م، ص 35.

تفتيت، أو على الأقل لتخفيف وطأة النظام القبلي المسيطر على المجتمع[1]، وهناك عدد من الآيات في القرآن الكريم التي تدعو إلى المساواة والتآخي، كقوله تعالى : « **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** »[2]، ويظهر ذلك من خلال بروز فئة جديدة خلفا لطبقة الزعماء القبليين (أمراء المقاطعات) ألا و هي:

• **فئة الفقهاء والمعلمين والقضاة :** تتكون هاته الفئة بالأساس من أفراد الجالية المغربية، الذين كانوا يمارسون مهن الفقه، والتعليم، والقضاء في المملكة، فمثلا نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر القاضي أبا سعيد الدكالي، ومحمد بن الفقيه الجزولي، والفقيه محمد الفيلالي[3].

وقد مثلت هذه الفئة الطبقة البرجوازية في المملكة بسبب الامتيازات التي نالتها من قبل حكام مالي[4]، فمثلا يذكر ابن بطوطة أن منسى سليمان كان يخص هذه الطبقة بمبلغ من المال ليلة 27 من رمضان[5]، وكان الحكام يكنون لهم كل التقدير والاحترام والإجلال، بحيث لا تخلو بلاطاتهم من الفقهاء، والخطباء، والمسلمين من المغاربة[6]، فابن الفقيه هو الذي أعلم منسا سليمان بقدوم ابن بطوطة، بالإضافة إلى أن القاضي، والخطيب، وابن الفقيه هم من تولوا ترجمة حديث منسا سليمان لابن بطوطة[7].

وهكذا فقد كانت هذه الفئة بحسن سلوكياتها وأخلاقها خير ممثل للإسلام في بيئة لم تعرف غير الوثنية دينا لها[8].

---

(1) بشار أكرم جميل الملاح : **التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الأفريقي من القرن 5 – 9هـ / 11 – 15م**، إش، دريد عبد القادر النوري، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، 2006م، ص 139.

(2) القرآن الكريم : سورة الحجرات، الآية 13.

(3) محمد الشريف : المرجع السابق، ص - ص 95 – 96.

(4) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 502.

(5) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 238.

(6) محمد عيسى الحريري : المرجع السابق، ص 224.

(7) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص – ص 237 - 238.

(8) بشار قويدر : **القوافل التجارية المغاربية (طبيعة التجارة وآثارها)**، طريق القوافل، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 2001م، ص 36.

المطلب الثالث : المسكن :

لقد كان بناء المساكن مختلفا، حيث أنه وقبل الاحتكاك بالتأثيرات العربية الإسلامية كانت البيوت عبارة عن شكل مستدير، تكون سطوحه مغطاة بالأخصاص والقش، ذات شكل هرمي، ويعود ذلك لعامل التأقلم مع المناخ، ذلك راجع لكون فصل الأمطار بهاته المنطقة تنزل فيه بغزارة شديدة[1].

بالإضافة لوجود البيت المكعب ذي السقف العادي[2] ؛ أي أن البيوت في مرحلتها الأولى كانت عبارة عن أكواخ وعشش، بحيث تغطى سقوفها بحشائش الصحراء[3]، حيث تكون مبنية بأوتاد مملوطة بالطين وسقوفها بالتبن[4].

أما فيما يتعلق بالحيطان فقد كان بناؤها بالطوب، وفي بعض الأحيان تتخللها الحجارة، ولقد كان الذوات، والأغنياء يتميزون باختلاف بناءاتهم لمساكنهم عن عامة الناس، حيث كانت حيطان هذه الفئة ؛ أي الأغنياء تبني بالآجر؛ أي الطوب المحروق في غالب الأحيان، في حين تبنى بيوت الفقراء وميسوري الحال بالطوب المجفف كما تخلط بالتبن بهدف الزيادة في صلابتها، كما كانوا يعمدون لبناء زريبة أو حوش أمام منازلهم، والغرض من ذلك هو إيواء الحيوانات فيها، أو لستر المنزل[5]، ولقد كانت جدران البيت المستدير مسلوبة على شكل خيمة، أما أبوابه فمستندة إلى عمودين جانبيين، أما الغرف الواسعة التي يستحيل تسقيفها فواحدة تقبى من الداخل بعقد زائف من الطين تخفي الكوابيل الخشبية الحاملة.

أما البيوت فتطلى باللون الأبيض ليكسبها مظهرا صلبا رطبا، بالإضافة لإعادة طلائها بالطين كل عامين، كما تزين أبوابها، وجدرانها بالتماثيل، كما يضفى عليها نحتها بالخشب رونقا وجمالا[6].

---

(1) عبد القادرزبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص - ص 87 - 88.

(2) دنيس بولم : المرجع السابق، ص 124.

(3) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 311.

(4) الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 165.

(5) عبد القادرزبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، نفس المرجع، ص 88.

(6) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 488.

هكذا وبمجرد عودة منسى موسى من رحلته إلى البقاع المقدسة، جلب معه العديد من المهندسين المعماريين كان على رأسهم إبراهيم الساحلي الغرناطي[1]، وكان قد اشتهر إلى جانب شعره بهندسته المعمارية، فقد أدخل معه فن البناء ذا الطراز المغربي الأندلسي الذي لم يكن معروفا في المملكة خاصة والسودان الغربي عامة[2]، وقد شبه العمري بناء مدينة نيني المبنية من الطين وكأنها جدران البساتين في دمشق، فكان البناء يتم على النحو التالي: فيكون البناء حوالي ثلثي ذراع بالطين، وبعدها يترك ليجفف، وبعدها يبنى عليه مثل ذلك، ويترك مرة أخرى ليجف، وكذلك يبنى عليه مثل ذلك وهكذا حتى يكتمل.

أما فيما يخص سقوفها فكانت بالأخشاب، والقصب، وكان الأغلب الأعم على سقوفها قباب أو جملونات تشبه القباب، وأرضها فكانت عبارة عن تراب مرمل[3].

كما أنه ومن بين ما بناه هذا المهندس البارع بيتا للسلطان منسا موسى في عاصمته بنبي، فقد كان عبارة عن قبة شكلها مربع أظهر فيها براعة، بالإضافة لإضفائه عليها الكلس، وبعدها طلاها بالأصباغ المشبعة حيث كانت من المباني المتقنة حتى أصبحت محل استغراب من السلطان كونه أعجب بها لأنه لا وجود لمثيلاتها في مملكته[4].

بالإضافة لكون الساحلي اتبع نمطا آخر في البيوت ؛ حيث عرفهم بنظام البيوت ذات الأسطح المستوية[5]، بعد أن كان النمط حسب رواية السعدي في مساكن الناس هو عبارة عن « زريبات الأشواك وبيوت الأخشاش ثم تحولوا من الزريبات إلى الصناصن » وبعدها اتبعوا بناء الحيوط كأسوار قصار، ودليل ذلك أن الواقف خارجها يرى من بداخلها[6]، كما قام أبو إسحاق الساحلي بتشييد قصر، ومسجد في تمبكتو وكان من الطوب الملون، احتوى على مئذنة وسقف من الأخشاب[7].

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 203.

(2) أمين توفيق الطيبي : **دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس**، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997، ج 2، ص 405.

(3) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 61.

(4) أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق، ص 407.

(5) باسيل دافيدسون : **إفريقيا القديمة تكتشف من جديد**، تر، نبيل بدر، سعد زغلول، مرا، محمد شوقي الكبال، الدار القومية، 2001م، ص 46.

(6) السعدي : المصدر السابق، ص 21.

(7) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 278.

هذا وفي ظل حرص قبائل الماندينغو بعد اعتناقهم للإسلام طبعا على بناء المساجد في مختلف المناطق[1]، وكذا الحرص من جانب ملوك مالي بعد إسلامهم حيث أولوا اعتناءً كبيرا ببناء المساجد[2]، هذا ما يتجلى في شهرة السلطان منسى موسى باختطاطه لمسجد في كل مكان تدركه فيه الجمعة، وهو في طريقه إلى الحجاز[3]، وقد قام بإنشاء العديد من المساجد منها : مسجد تمبكتو، و دوكوري، و كوندام، ومسجد ديري[4].

وقد طلب منسى موسى بعد عودته من حجته ببناء مسجد فخم في جاو (كوكو)، حيث أشرف على بنائه أبو إسحاق الساحلي، فبناه من الطوب المحروق، إذ لم يكن هذا النمط معروفا في كامل السودان الغربي، وجعل مئذنة ذات شكل هرمي[5]، وكان سطحه ذا شرفات فقد سمي بالأسلوب السوداني بعد أن كان البناء المستعمل في مسجد جاو بسيطا ؛ فكان عبارة عن كوخ بسيط وسقفه من القش[6].

وقد استعمل أبو إسحاق الساحلي في بنائه الطين المضغوط المقوى بالخشب وذلك يعود لقلة الحجارة، و بهذا ظهر نمط المساجد السودانية المقواة بالأخشاب[7].

كما بني الجامع الكبير على عهد السلطان منسا موسى، حيث كانت صومعته على خمسة صفوف، والقبور لاصقة بها من خارجها على الجهتين اليمنى واليسرى[8]، وقد كانت هندسته الداخلية على غرار مسجد قرطبة العظيم مع بعض الفوارق بالطبع، أما خارجه فقد كان مشيدا بالطين الصحراوي على النمط السوداني القديم، وقد عرف هذا المسجد باسم « جيجاري بيل »[9]، وقد تم بناؤه في القرن 14م، حيث أصبح بمثابة جامع مركزي لإقامة صلاة الجمعة، وموقعه في الجزء الغربي من المدينة[10].

---

(1) حسان حلاق : المرجع السابق، ص 393.
(2) حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق، ص 124.
(3) مبروك مقدم : المرجع السابق، ص 236. John O. lgué : op. cit, p 10
(4) نور الدين شعباني : المرجع السابق، ص 50.
(5) أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق، ص 407.
(6) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 234.
(7) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 161.
(8) السعدي : المصدر السابق، ص 56.
(9) حامد عثمان : المرجع السابق، ص 224.
(10) عثمان برايما باري : المرجع السابق، ص 24.

كما شارك عبد الله الكومي الغدامسي[1]، مع أبي إسحاق الساحلي في تشييد مسجد سنكرى الشهير، وكان تشييدهما له على الطراز المغربي الأندلسي[2]، حيث كان بناؤه على على سواعد امرأة كان اسمها سنكري اشتهرت بثرائها، ولا تذكر المصادر تاريخ بنائه لقدم عهده[3]، في حين يذكر لنا الفيتوري أن جامع سنكري أسس عام 1450م[4] (ينظر الملحق الملحق رقم 03)، بالإضافة لإنشاء هذا المهندس لقصر عظيم لمنسى موسى، وكذا مسجد الونكريين أو الونقريين الذي أمر منسا موسى بتشييده[5].

أما قاعة الاجتماعات التي بناها الساحلي لمنسى موسى داخل قصره فقد كانت بالحجر والجبس أما زخرفتها فتمت بالخشب المطعم بالذهب[6]، بالإضافة لبناء الساحلي بيتا في تنبكت ذا شكل مربع وله قبة حيث سمي (مع دك) وهي تعني في لغتهم دار السلطان أو أرض السيد[7].

وكان إلى جانب المساكن والمساجد الهادفة لتوفير الراحة لكل فئات المجتمع، فقد بنى أهل مالي كذلك المخازن، والمتاجر، وكذا الحوانيت، وكانت بالقرب من المساجد حيث كانت محيطة بها، وقد كانت دكاكينهم على الطراز المغربي حيث جعلوا المخازن في أسفل دور السكن.

أما فيما يخص المدارس فقد كانت ملحقة بالمساجد، حيث تتكون من غرفة أو غرفتين لتعليم الأولاد[8].

---

(1) وهو من ولد عبد المؤمن، كان داعية في منطقة الزاب للفاطمي المنتظر جلب المتعصبين من العرب، حيث استنجد بمنسى موسى بعد اعتقاله، وانتظره في غدامس، وجلبه معه وهو في طريق عودته من البقاع المقدسة. ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج 6، ص 267.

(2) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 204.

(3) عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق، ص 165.

(4) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 292.

(5) إسماعيل سامعي : **معالم الحضارة العربية الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص 388.

(6) أمين توفيق الطيبي : المرجع السابق، ص 407.

(7) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 235.

(8) نعيم قداح : المرجع السابق، ص، ص 145، 157.

ومن خلال هذا يتضح لنا مدى التأثير العربي الإسلامي على نمط البناء سواء كانت منازلا، أو مساجدا، أو غيرها من المباني التي يحتاجها المجتمع المالي حيث نقشت مساجدهم بالخط الكوفي، والخطوط الهندسية، وكذا الزخرفة بالآيات القرآنية[1].

المبحث الثاني : الحياة الأسرية ومكانة المرأة :

المطلب الأول : **الحياة الأسرية :**

تتكون مملكة مالي الإسلامية من عدة قبائل تتفرع عنها مجموعة عشائر وبطون، كانت نواتها الأسرة أو العائلة، وكانت تربطهم رابطة الدم[2]، ولقد ذكر ديلافوس اسم العائلة العائلة باللغة الماندية وهي : **لو (LOÛ)** أو **دو (DÛO)** ، وتعني المسكن العائلي أو**gba** أو **goua** أي الموطن[3]، ولقد كان الزواج في مالي قبيل تعرضها للتأثيرات العربية الإسلامية محصورا داخل العشيرة بهدف المحافظة على الوحدة والتماسك، وكان النظام الأمومي هو السائد في الأسرة، حيث الأم هي ربة البيت وهي التي تسير شؤون الأسرة، ولكن بدخول الإسلام تغير نظام الأسرة وأصبح النظام أبويا، حيث الأب هو رب البيت[4].

ولقد كانت العائلة أو الأسرة تتكون نتيجة الزواج، إذ أنه كانت البنات يتزوجن في سن مبكر، متوسط أعمارهن يتراوح بين العاشرة، والثانية عشر، إلا أنه وبدخول الإسلام أصبح الزواج في مملكة مالي يقام وفق الشريعة الإسلامية، إذ أن المهر أصبح من حق المرأة، ويقاسمها فيه أهلها، أما مؤخر الصداق فكان حقا أساسيا تحصل عليه الزوجة عند الطلاق، وقد كان الزواج يجري في مراسم احتفال كبير يستمر لمدة أسبوع أو أكثر[5].

كما أن ظاهرة تعدد الزوجات كانت بارزة، وقد تركت الشريعة الإسلامية أثرا بارزا في حياة الأسرة المالية، فبالرغم من أن الزواج اقترن بعادات تعود إلى ما قبل الإسلام، إلا

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 206.

(2) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 240.

(3) Mourice Delafosse **: Les civilisations négro-africaines**, Libraire stock, Paris, 1925, p 61.

(4) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 214.

(5) نعيم قداح : المرجع السابق، ص - ص 181 - 182.

أنه تأثر بالتعاليم الإسلامية وتجلى ذلك من خلال الجمع بين أربع زوجات في وقت واحد[1].

وقد كانت الحياة الأسرية في مملكة مالي سهلة، وتكوينها ميسورا، وأمر تعدد الزوجات سائدا ولا يهمهم، حيث إقامة منزل عائلي أمر سهل والزوجة والزوج يعملان معا، حيث أن الزوج يتولى الأعمال الخارجية سواء كان تاجرا، أو مزارعا، أو راعيا، والزوجة تتولى الأمور الداخلية ؛ أي أمور البيت من خلال تحضير الطعام، وتنظيف البيت والاعتناء بالأطفال[2].

كما كان هناك زواج في المملكة يسمى الزواج السياسي ؛ حيث يحدث بين عائلتين مهمتين، حيث الزوجة في هذا الزواج تكون الثانية أو الثالثة، والزوجة الأولى تبقى هي الأصيلة وتكون عادلة ومتفهمة، وكان الهدف من هذا الزواج هو مصالح سياسية[3].

وكان الإسلام قد أحاط الأسرة السودانية بصفة عامة والمالية بصفة خاصة بسياج من الحصانة، فكفل للأبناء التربية الصحيحة، ووضع نظاما عادلا لتوزيع الثروة بين أفراد الأسرة جميعا، إذا مات أحد أفرادها، بعد أن كان النظام المحلي يخص ابن الزوجة الأولى بالتركة كلها[4].

أما بالنسبة للطلاق فالمطلقة كانت تتقيد بالعدة أو فترة الانتظار التي تسبق الزواج الثاني، والأطفال ملك للزوج أو وريثه، وهذا ينطبق على المرأة الأرملة كذلك[5]، ولقد كانت ظاهرة بارزة بالنسبة للمطلقات أو الأرامل فكن يشترين زوجا إذا مات أزواجهن، إذ تقوم الزوجة بشراء زوج آخر مما تركه لها زوجها الأول من المال[6].

---

(1) السيد حسين جلال : **تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2004، ص 457.

(2) نعيم قداح : المرجع السابق، ص 184.

(3) Lieutenant Louss desplagnes : **Le plateau central nigérien**, une mission Archéologique au soudan français, mile larose, libraire-éditeur, paris, 1907, p 218.

(4) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 216.

(5) السيد جلال حسين : نفس المرجع، ص 457.

(6) هوارد. س : المرجع السابق، ص 43.

ولقد كانت هناك علاقات مصاهرة بين التجار العرب، وأصحاب الحرف مع بعض بنات مملكة مالي الإسلامية، حيث أن السلطان يزوج بعضهم ببنات المملكة[1]، ويعتبر هذا من آثار الإسلام في اختلاط الزنوج مع العرب، وهذا نظرا لوحدة العقيدة وتقارب النظم الاجتماعية، وبالتالي شجع على الزواج المتبادل، مما أوجد أجيالا عربية إفريقية[2]، وكانت أهم علاقات المصاهرة مع المغاربة، حيث تقرب أغنياء الجالية المغربية من أغنياء الأسر السودانية ومن الدوائر الحاكمة عن طريق الزواج والارتباطات العائلية[3]، فعلى سبيل المثال كان في عهد منسا سليمان رئيس الجالية المغربية في مالي هو محمد بن الفقيه الجزولي، وهو مراكشي، حيث تزوج بابنة عم منسا سليمان[4]، كما كان العلماء المسلمون العرب الذين يسكنون في مالي يلقون التفاف الأهالي حولهم فيأخذون في مساعدتهم على حل مشكلاتهم، دون إجبارهم على الدخول في الإسلام، وكان هؤلاء العلماء يمتزجون بأبناء السودان بالمصاهرة ويختلطون بهم فذابوا بذلك في المجتمع السوداني، مما نتج عنه إقبال السودانيين على الإسلام وقيامهم بدورهم بنشره بين غيرهم من السودانيين[5].

ومنه لعب التأثير العربي الإسلامي دورا كبيرا في الحياة الأسرية، حيث منح أسسا يستند إليها بدءا بالزواج مرورا باحترام المرأة وصولا لطريقة تربيتها لأبنائها.

المطلب الثاني : تربية الأبناء :

لقد كان العرف السائد في تربية الأبناء منذ سن الطفولة هو أن يتلقى الطفل تهذيبا يكون سليما، وذلك قبل أن تتسرب العادات السيئة له[6]، وهذا ما نلحظه في تربية أهل مملكة مالي لأبنائهم، حيث أحاطتهم بالتربية الصحيحة، وتأثرت في هذا الجانب أيضا بتعاليم الإسلام[7]، التي أخبرنا بها ابن بطوطة، وتجلت في ضرب أبنائهم إذا ما قصروا في في أداء صلاتهم، وهذا نابع من مواظبتهم على أداء الصلاة في أوقاتها وبصورة جماعية،

---

(1) مارمول كربخال : **إفريقيا**، تر، محمد حجي محمد زينبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد نيجلون، مكتبة المعارف، الرباط، 1408 - 1409هـ / 1988 - 1989، ج 3، ص 202.

(2) مبروك مقدم : المرجع السابق، ص 150.

(3) محمد الشريف : المرجع السابق، ص 98.

(4) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 392.

(5) جلال يحي : المرجع السابق، ص 31.

(6) عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق، ص 168.

(7) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 216.

بالإضافة لتربية أبنائهم على حفظ كتاب الله عز وجل، ويتجلى الحرص في ذلك من خلال معاقبتهم إذا ما قصروا في حفظه، وكدليل على ذلك ما أخبرنا به ابن بطوطة في هذا المجال، حيث أنه يوم العيد وعند دخوله على القاضي وجد أبناءه مقيدين، فسأله لماذا هم مقيدون ؟ فأجابه بأنه لن يفك قيودهم حتى يحفظوا القرآن، أما المشهد الثاني والدال على حرص الأولياء في تربية أبنائهم مهما كانت درجة الثراء، وذلك يتضح من خلال ما شاهده ابن بطوطة عند مروره بشاب وسيم المحي، يرتدي ملابس حسنة المظهر، وكان في رجله قيد ثقيل فسأل ابن بطوطة الشخص المصاحب له بأن هذا الشاب هل ارتكب ذنبا كبيرا ؟ فأجابه بأنه لم يحفظ القرآن[1].

وقد كان أهل مالي يبعثون بأبنائهم للكتاتيب بهدف تلقي العلم، فكان الأطفال الذكور المترددون على هذه الكتاتيب يتعلمون القراءة والكتابة، وتتم هذه الأخيرة على ألواح ناعمة، حيث لم يكن لديهم أوراق يكتبون عليها وكانت تتم كتابتهم على الألواح بنوع من الحبر الأسود، وكذا بأقلام شبيهة بأقلام الرصاص[2]، حيث اكتسب الأطفال نتيجة التحاقهم بالكتاتيب تعاليم إسلامية حسنة كطاعة الوالدين، بالإضافة إلى تعلمهم، لم يمنعهم هذا من مزاولة العمل الذي تمثل في الرعي بالماشية، وجمع الحطب لكي يستضيئوا به أثناء تعلمهم[3].

وقد نتج عن حرصهم الشديد في تعليم وتحفيظ أبنائهم للقرآن الكريم انتشار اللغة العربية بحكم أنها لغة كتاب الله، وبالتالي تعلمها لأداء الفرائض الدينية، كما كان من الواجب تعلمها كونها كانت اللسان الناطق في إمبراطورية مالي، حيث كانت لغة الإدارة، والثقافة، والتواصل بين الناس[4].

بالإضافة لالتحاق أبنائهم بالمدارس، وتجلى ذلك في انتشارها بصورة كبيرة، وقد كانت في شكل ملحقة بالمساجد أو أنها مستقلة عنها[5]، وقد كان جامع سنكري مركزا يفد

---

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 244.
(2) هوارد. س : المرجع السابق، ص 45.
(3) بشار أكرم جميل الملاح : المرجع السابق، ص 131.
(4) عمار هلال : المرجع السابق، ص، ص 57، 59.
(5) حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق، ص 127.

إليه الأبناء للتعلم بعد إتمامهم لحفظ كتاب الله في المدارس المحلية ليشدوا بعدها الرحال إلى تنبكت ليقيموا فيها حتى يتعلموا[1].

وقد كان اهتمام السلاطين بتعليم الأبناء متجليا من خلال بناء منسا موسى مدرسة كبيرة لتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم، حيث أن التعليم فيها كان إجباريا، كما اتبعوا فيها تقييد الطالب بالقيود الحديدية حتى يحفظ القرآن[2]، ويخبرنا كل من العمري، والقلقشندي أن السلطان منسا موسى يتقن اللغة العربية قراءة، وكتابة، وحديثا أو تعاملا[3]، وقد اقتدى به أخوه وخليفته منسا سليمان، حيث عمل على جعل اللغة العربية هي لسان الإمبراطورية إلى جانب لغتهم المحلية[4]، أي أن انتشار اللغة العربية كان مصاحبا لانتشار الإسلام هذا ما جعل الكثير منهم يجيدونها إلى جانب لغتهم المحلية[5].

ولقد كانت كل من جني وتمبكتو مدينتين مركزيتين كبيرتين في مجال العلوم الإسلامية[6]، حيث أولى سلاطين مالي اهتماما كبيرا بالعلم، وتجلى ذلك من خلال شراء المخطوطات بأثمان باهضة، وانتقال العلماء، والطلاب إلى جانب اللغة، والخط العربي، والمذهب المالكي[7].

كما أنه ومما يوضح اهتمام العائلات بتربية أبنائها تربية دينية هو أن الصبيان كانوا يرتادون الكتاتيب لحفظ القرآن، حيث تشابهت طريقة تعليمهم مع ما هو سائد في المغرب من أساليب تعليمية، حيث كان الصبيان يهجون، ويرددون آيات القرآن وراء معلمهم، وبعدها يبدأ بالكتابة على الألواح الخشبية، ويستمر هكذا إلى غاية ختمه كتابة، وحفظا حيث يقام له حفل كبير بمناسبة ختمه لكتاب الله.

---

(1) عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق، ص – ص 165 – 166.

(2) نعيم قداح : المرجع السابق، ص 156.

(3) القلقشندي : المصدر السابق، ص 298. كذلك، ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 74.

(4) نعيم قداح : المرجع السابق، ص – ص 156 - 157.

(5) محمد عيسى الحريري : **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس) (160هـ - 396م)**، دار القلم، الكويت، ط 3، 1408هـ / 1987م، ص 213.

(6) إسماعيل راجي الفاروقي، لوس لمياء الفاروقي : **أطلس الحضارة الإسلامية**، تر، عبد الواحد لؤلؤة، مرا، رياض نور الله، مكتبة العبيكان، ص 328.

(7) عبد الفتاح مقلد : **موسوعة تاريخ المغرب العربي بني حفص وبني زيان وبني مرين دراسة في التاريخ الإسلامي**، مكتبة مدبولي، ط 1، 1414هـ / 1994م، ج 5، ص 307.

ومما يدل على الأهمية الكبيرة التي يولونها لتحفيظ أبنائهم للقرآن هو المشارطة ؛ وهي عبارة عن مبلغ تدفعه أسرة الصبي كل أسبوع للمعلم بالإضافة للهدايا التي يأخذها هذا المعلم عند ختم الطفل للقرآن الكريم[1].

ويتضح لنا من خلال ما سبق أن تربية الأبناء كانت تنتهج أسلوبا إسلاميا، تجسد في حرصها الشديد على تحفيظ أبنائهم للقرآن، وحثهم على الصلاة، والعقوبة المتبعة في حال التقصير في هذين الجانبين، بالإضافة لتشجيعهم على التعلم سواء من طرف الأولياء، وكذا الدعم الموجود من طرف السلاطين المشجعين لهذا الجانب.

المطلب الثالث : مكـانـة المـرأة :

احتلت المرأة مكانة مرموقة، وكان لها دور سيادي في المجتمع المالي، فمن المعروف أن النظام الاجتماعي المتبع منذ القدم لدى شعوب الماندينغو هو النظام الأمومـي ؛ أي أن الابن ينسب إلى أمه[2]، وكمثال على ذلك منسا موسى الذي كان يسمى كنكن موسى، وعلى حسب محمود كعت فإن كنكن هو اسم والدته[3]، وتذكر الروايات أن كلمة الماندنج تعني ابن الدم أي المنسوب إلى أمه[4]، ونجد انعكاس هذا الدور السيادي الذي الذي تتمتع به المرأة على الصعيد السياسي الذي يقتصر فيه منصب الملك على أبناء أخت الملك، حيث علق ابن خلدون على ذلك بقوله : « (...) على قاعدة العجم في تمليك البنت وابن البنت »[5].

أما عن الصلاحيات والامتيازات التي تحظى بها المرأة في المجتمع فإنه مع الأسف المصادر التاريخية لا تطلعنا عليها، ومع ذلك نكتفي بالإشارة الطفيفة لابن بطوطة الذي يذكر أن زوجة منسا سليمان تشارك زوجها في تسيير دفة الحكم ويذكر اسمها إلى جانب اسمه على المنبر[6].

---

(1) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 212.
(2) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 110.
(3) محمود كعت : المصدر السابق، ص 37.
(4) حسين مؤنس : الإسلام الفاتح، المرجع السابق، ص 108.
(5) القلقشندي : المصدر السابق، ص 294.
(6) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 243.

وعلى كل فقد كان للمرأة مكانة كبيرة في المجتمع، باعتبارها العنصر الثابت في المجتمع، فالرجل في هذه المجتمعات كان كثير الغياب سواءً بمزاولة الصيد أو في ميدان الحرب، ولذلك فقد وجدت المرأة نفسها ملزمة بتقمص دور الرجل في الأسرة بالإضافة إلى دورها كأم مسؤولة عن تربية الأبناء[1].

وقد علق ابن بطوطة على المكانة التي تمتعت بها المرأة بايوالاتن (وهي إحدى عمالات مالي) بعد أن أثنى على جمال نسائها بقوله : « ولنسائها الجمال الفائق، وهن أعظم شأنا من الرجال »[2]، كما يذكر ابن بطوطة أيضا أن أهل مالي نادرا ما يبيعون الإماء المعلمات، وكان ابن بطوطة صاحب حظوة إذ أنه تمكن من الظفر بخادمة معلمة التي اشتراها ب25 مثقالا وهو ثمن باهض[3]، مما يدل على مكانة المرأة بما فيها الأمة.

وكنتيجة للدور الكبير الذي لعبته المرأة في المجتمع، فقد كان حريا بها أن تتمتع بحرية واسعة في المجتمع، وبغض النظر عن النظرة الشرعية للإسلام من هاته الحرية، فإنه حتى وإن عم الإسلام ربوع المملكة، فإن السرعة التي حظي بها الإسلام في انتشاره، فان تأثيره لم يكن يمثل تلك السرعة التي تمَ بها انتشاره[4].

ومن مظاهر الحرية التي تمتعت بها المرأة في المجتمع المالي نجد :

* **العري :** تعتبر هذه الظاهرة من عادات المجتمع المالي منذ عصور ما قبل الإسلام، معطى اجتماعي طبيعي لا جدال فيه ولا نقاش، ولا ينظر إليه على أنه شيء مخالف للمألوف[5]، بل بالعكس من ذلك فهاته الظاهرة تصور وتعبر عن استقلال المرأة بمظهرها - حتى وإن كانت هذه الاستقلالية مخالفة للتقليد الإسلامي -[6].

* **المصاحبة :** قبل الحديث عن مدلولات هذه الظاهرة، نستعرض أولا المثالين اللذين ضربهما محل الشاهد ابن بطوطة في هاته الظاهرة، ومن ذلك أنه دخل على أحد رجال مسوفة بايوالاتن فوجده جالسا، وغير بعيد عنه وجد سريرا مظللا عليه امرأته وصاحبها،

---

(1) حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته، المرجع السابق، ص 230.
(2) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص 233.
(3) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 144.
(4) عطية مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 284.
(5) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 233.
(6) روسيل وورين هاو : المرجع السابق، ص 71.

ووجد ابن بطوطة زوجها لا يأبه بذلك ولا ينكره، ويضيف ابن بطوطة أنه دخل على قاضي بايوالاتن، فوجده برفقة امرأة، فلما أراد ابن بطوطة الانصراف لما رآها، إلا أن القاضي طلب منه الرجوع و أخبره بأنها صاحبته[1].

وبما أن هاته الظاهرة مخالفة للشرع الإسلامي، لم يتردد ابن بطوطة في التنديد بها واستنكارها، وكذا استنكار دياثة وقلة غيرة الرجل على امرأته، إلا أنها تصور لنا مظهرا من مظاهر الحرية التي تتمتع بها المرأة في المجتمع باعتبارها صاحبة المسؤوليات الكبرى فيه[2]، ومع ذلك فإننا نسجل صورا من أشكال الاستهانة بالمرأة، من ذلك أن أحد التجار المسلمين أهدى إلى أحد ملوك السودان كمية من الملح فقبلها منه وأعطاه بالمقابل أمتين من أحسن إماء السودان صورة وقال له : « اذبحهما وكلهما فان لحمهما من أحسن ما يؤكل عندنا »[3]، ومن صور استغلال المرأة أيضا ما ذكره منسا موسى لابن أمير الحاجب وهو أن من عادة أهل المملكة إذا كان لأحدهم بنت حسناء فإنها توهب للملك الذي يمتلكها من دون رابطة شرعية و كأنها غرض من أغراضه[4].

وإجمالا يمكن القول بأن المرأة في مالي مارست حريتها بأشكال وأساليب مختلفة، وإن خلت هاته الأساليب من أية قيمة أخلاقية فهي لا تعدو بأن تكون دافعا أساسيا للانتقام لنفسها من العبودية التي أرادها لها المجتمع[5]، فالمرأة في ظل الوثنية لم تحظ بحرمتها وقدسيتها التي منحها إياها الإسلام الذي أعلى من شأنها، موصيا بشأنها أيما إيصاء ومنظما للعلاقات بينها وبين الرجل[6].

وعن تأثير الإسلام في المرأة، فتذكر الروايات أنه بعد اعتناق أهل المملكة للإسلام بمدة ليست بالقصيرة بدأت عادة العري والسفور عند النساء تضمر بالتدريج وبصورة

---

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 234.
(2) حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته، المرجع السابق، ص 230.
(3) حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق، ص 130.
(4) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 69.
(5) نعيم قداح : المرجع السابق، ص 179.
(6) إبراهيم حركات : **كيف انتشر الإسلام عبر ثمانية قرون**، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العدد 277، جمادى الأولى 1410هـ / دجنبر1989م، المغرب، ص 30. بشار أكرم جميل الملاح : المرجع السابق، ص 121.

واضحة في المراكز الحضارية، أين كان الإسلام متفشيا، على عكس القرى التي ظلت متمسكة بالتقاليد القديمة[1].

المبحث الثالث : العادات والتقاليد :

المطلب الأول : الأطعمة والأشربة : يتميز كل مجتمع باشتهاره بأطعمة وأشربه خاصة به، وهذا ما سنتعرف عليه في المجتمع المالي :

ـ الأطعمة :

تعد وجبة الأرز بمثابة غذاء أساسي داخل مملكة مالي، بالإضافة لنوع آخر من الحبوب يسمى الغوثي، فهذا الأخير يدرس ويخرج منه ما يشبه حبة الخردل أو أصغر وهو أبيض اللون، فيغسل ثم يطحن وبعدها يعجن ويعمل منه الخبز ويؤكل[2]. بالإضافة للأرز والغوثي، كان عندهم الذرة، حيث هي قوت السكان، وكذلك الحنطة، فبالرغم من أنها قليلة عندهم إلا أنها تعتبر من الحبوب التي يأكلونها[3].

كما كان من مأكولاتهم القطانيا، وهي عبارة عن عصائد غير مختمرة، وكان الخبز عندهم لا يأكله إلا الملوك المتخلقون بأخلاق البيض[4]، ومن طعامهم أيضا العصيدة التي تصنع من شيء يشبه القلقاس يسمى القافي حيث هي مفضلة على سائر الطعام، وكانت هذه الأكلة التي أكلها ابن بطوطة فأصيب بالمرض[5]، وكانوا يأكلون الدقيق الأبيض الذي يصنع يصنع من ثمار أشجار التايبوكا، حيث يؤخذ ويطبخ كغذاء[6].

ولكون أنه كانت تنبت عندهم الخضروات المتمثلة مثلا في البصل، والباذنجان، والكرنب، فكانوا يقومون بطبخها وأكلها، وأيضا بالنسبة للملوخية فبالرغم من أنها تنبت في البراري، إلا أنهم يقومون بجلبها وطبخها وهي من أطعمتهم البارزة[7]، وكانت عندهم أيضا أيضا وجبات لم يستسغها الأجانب ولم ترق لهم، ومن بينها ما ينتج من الذرة، فكانت

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق ، ص – ص 216 – 217.
(2) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 62.
(3) القلقشندي : المصدر السابق، ص 208.
(4) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق، ص 91.
(5) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 237.
(6) سليمان فياض : **ابن بطوطة رحالة الإسلام**، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ط 1، 1412هـ / 1991م، ص 59.
(7) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 244.

منتشرة عندهم وهي المحصول الغذائي الرئيسي وأكثر الوجبات انتشارا، وقد كانت تضاف إليها صلصات مختلفة[1]، ومن المأكولات التي يأكلونها كذلك الجراد، إذ هو منتشر عندهم مما جعلهم يستخدمونه كغذاء، حيث يحمص ويؤكل، أو يجفف ويطحن[2].

وكان يلاحظ عندهم أنه قلما تأكل الطبقة العامة من المجتمع المالي اللحوم، وتتميز بغلبة أطباق الأرز والاستهلاك الواسع للأسماك، أما الطبقات المترفة، فقلما تأكل الأسماك واستبدلته بلحوم الغنم والبقر، والجمال، والدجاج، وكان الكسكسي المتخذ من القمح والذرة الأكلة المعتمدة في الموائد على غرار الأرز فهو يكون بشكل ثانوي[3]، وكانوا يضيفون للكسكسي ما يعرف عند المغاربة بالسمن، حيث يتم صنعه من خلال فاكهة تشبه الليمون، وطعمه كالكمثري بداخله نوى ملحم، يؤخذ وهو طري ويطحن، ويجمد، ثم يوضع في قدر على نار هادئة، ويسقى بالماء تارة تارة حتى الغليان، وهو مغطى الرأس، وإذا نضج برد ووضع في قارورات، ويستعمل في الأكل كالسمن[4]، كما كانوا يتناولون الفواكه، حيث يتغذون بها، ويعرف عندهم فواكه لا تعرف في بلاد الإسلام[5]، ومن هذه الفواكه التي يأكلونها الجميز، فهو كثير عندهم، وفاكهة تنتج من أشجار تادموت، إذ يكون بداخل هذه الفاكهة ما يشبه بدقيق الحنطة، وهو ساطع، طعمه حلو ولذيذ، وكذا فاكهة الموز[6]، بالإضافة إلى أنهم يأكلون البطيخ الأخضر[7].

---

(1) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 486.
(2) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 279.
(3) محمد الغربي : **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره**، اش، نقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ج $_1$، ص 612.
(4) القلقشندي : المصدر السابق، ص 288.
(5) أبي إسحاق الفارسي المعروف بالاسطخري : **كتاب الأقاليم**، طبع طباعة حجر، غوتا، 1839م، ص 21.
(6) القلقشندي : نفس المصدر، ص 288.
(7) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 248.

- الأشربة :

أما فيما يخص مشروباتهم فكانوا يشربون المياه النابعة من جبالهم، والتي تميزت بملوحتها[1]، بالإضافة إلى شراب يسمى الدقنو « بفتح الدال المهمل وسكون القاف وضم النون وواو » ؛ وهو ماء فيه جريش الذرة مخلوط بقليل من العسل أو لبن ويشربونه عوض الماء[2]، وعندهم مشروب عرقي البلح الذي كان سائدا عندهم، حيث يصنع من الذرة، وهو أشبه بالنبيذ[3]، إذ أنهم كانوا يشربون الخمر، ولكن بدخول الإسلام للمملكة بدأت ظاهرة شرب الخمر تتناقص[4].

المطلب الثاني : لباس أهل مالي واحتفالاتهم في المناسبات :

- لباس أهل مالي :

يعد الزي وتقاليده في المملكة المالية من المظاهر الاجتماعية، فقد كان لباس السلطان عبارة عن شاشية ذهبية تكون مشدودة بعصابة ذهبية، بها أطراف كالسكاكين تكون رقيقة، ويبلغ طولها الشبر أو يزيد، حيث يضعها على رأسه، وكان في غالب الأحيان لباسه عبارة عن جبة موبرة تسمى بالمطنفس ؛ وهي من الثياب الرومية[5]، كما كان السلطان يرتدي لباسا خاصا به ومقتصرا على شخصه، وذلك على سبيل المفاخرة، والمباهاة، وزيادة الإعلاء من شأنه[6]، وتمثل هذا الزي في سروال ذي حجم كبير كان مفصلا من حوالي 20 20 قطعة، حيث لا يسمح لأحد بارتداء مثيله مهما كانت مرتبته[7].

أما في مناسبة العيد فقد كان السلطان يضع على رأسه طيلسانا لا يلبسه الناس سوى القاضي، والخطيب، والفقهاء[8].

---

(1) الإدريسي : المصدر السابق، ص 22.
(2) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 248.
(3) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 286.
(4) نعيم قداح : المرجع السابق، ص 173.
(5) ابن بطوطة : نفس المصدر ، ص 239.
(6) أحمد طاهر : المرجع السابق، ص 69.
(7) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 65.
(8) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص – ص 240 - 241.

بالإضافة للملك كان الأعيان الذين يتمتعون بحظوة في البلاط الملكي يرتدون الألبسة الفاخرة المزخرفة بالذهب[1] ؛ فدوغا الترجمان كان يرتدي ثيابا مصنوعة من الزردخانة وغيرها، أما رأسه فيضع عليه عمامة ذات حواشي، كما يضع في رجله خفا ومهاميز، أما نساء الترجمان فكن يرتدين ملابس جميلة، ويضعن على رؤوسهن عصائب ذهبية وفضية فيها تفافيح[2]، أما الأمراء فكان كل واحد منهم يضع كنانة بين كتفيه[3]، وبالنسبة للفقهاء فكانوا يرتدون عمامة يضعونها تشبها بالعمامة الشرقية ويتركون شيئا منها يتدلى على ظهورهم[4].

أما زي الفارس فقد كان فرسانهم يرتدون عمائم على رؤوسهم تشبها بالعرب، وكان لون القماش أبيضا مستخلصا من القطن، حيث ينسج لينتج عنه ما يعرف بالكميصا، فكان زيهم شبيها بالزي المغاربي جباب، ودراريع بلا تفريج، كما يسمح السلطان لأبطالهم من الفرسان كلما زادت إنجازاتهم في ارتداء سراويل متسعة، وكلما زادت الفروسية للبطل يلبس سراويل مضاعفة في الاتساع من السرج، والضيق لأكمام الساقين[5].

وقد كان العامة من أهل التكرور يرتدون الجبب الصوفية، ويضعون على رؤوسهم كرازي مصنوعة من الصوف، في حين كانت طبقة الملوك، والنبلاء لباسها أكثر تطورا وفخامة وتمثل في ارتدائها للثياب القطنية والمآزر[6]، كما يوضح لنا ابن سعيد لباس أهل التكرور أنهم يلبسون الجلود وإن استحى أحد منهم ارتدى جلدا مدبوغا، في حين أن أهل المملكة الذين كانوا في احتكاك دائم مع أهل المغرب تأثروا بلباسهم المصنوع من الصوف والقطن اللذين كانا يجلبان من بلاد المغرب، في حين كان أهل البادية الكفار منهم عراة لا يستترون، أما المسلمون فيسترون فروجهم بعظام أو جلود[7].

---

(1) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 165.
(2) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص، ص 239، 241.
(3) عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 47.
(4) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 217.
(5) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 65.
(6) الإدريسي : المصدر السابق، ص – ص 18 - 19.
(7) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق، ص 91.

ووضح لنا القزويني أن أهل التكرور المسلمين منهم كانوا يرتدون قمصانا طولها عشرون ذراعا، أما النساء الكافرات فيغطين قِبَلَهُنَّ بخرزات العقيق، حيث يقمن بنظمهن في خيوط « ومن كانت نازلة الحال فخرزات من العظم »[1].

ولقد ظهر التأثير العربي في زي أهل مملكة مالي من خلال ارتداء العمائم كالعرب، كما كان الأغلب الأعم عليهم البياض المصنوع من القطن المحلي وكذا ارتدائهم للكميصا والجبب، والدراريع[2]، وبالرغم من أن القطن كان متوفرا في إفريقيا الغربية إلا أنه لم يكن يستعمل في زي أهل المملكة إلا مع بداية انتشار الإسلام، وتعرف الملابس القطنية بالبوراكان والبوجران بلغة الماندينغو[3]، كما كان الشاش بمختلف ألوانه، حيث كانت تستورد هذه الأقمشة من بلاد المغرب بصفة عامة ووارجلان بصفة خاصة[4]، بحيث كان الغلمان يضعون على رؤوسهم شيشانا بيضا[5].

وقد كان أهل كوكو يستعملون الجلود لستر عوراتهم هذا بالنسبة للعامة، أما الخواص فكان زيهم بلون أزرق[6].

أما لباس أهل تادمكة[7]، فكانت « الثياب القطنية المصبغة »، أما ملكهم فيرتدي « عمامة حمراء، وقميصه أصفر وسراويله زرق »[8].

كما أنه ومما يؤكد على تأثرهم بالعرب وتشبههم بهم أنهم في المناسبات ويوم الجمعة كان لباسهم البياض، فبالرغم من أنهم كانوا قبل خضوعهم لهذه المؤثرات يسيرون في

---

(1) القزويني : المصدر السابق، ص 26.

(2) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نفس المصدر، ج 4، ص 65.

(3) أ. ج. هوبكنز : **التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية**، تق، محمد عبد الغني سعودي ، تر، أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، ص 94.

(2) إلياس بن عمر حاج عيسى : **مدينة وارجلان** – دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (في الفترة 4 - 10هـ / 10 - 16م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الإسلامي، اش، عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر، 1429 - 1430هـ / 2008 - 2009م، ص 92.

(5) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 241.

(6) القلقشندي : المصدر السابق، ص 285.

(7) تادمكة : وهي عبارة عن مدينة كبيرة بين جبال و شعاب و هي شبيه بمكة المكرمة ، ومعنى تاد عندهم هيئة ؛ أي على هيئة مكة، وكان أهلها بربر مسلمون وكانوا يضعون النقاب مثل بربر الصحراء، وكان عيشهم من اللبن واللحم حيث لم يكن لديهم قمح أو شعير، كما ينبت في أرضهم حب شبيه بالذرة من غير حرث. مؤلف مجهول : **الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر، وبلاد المغرب**، من كتاب القرن السادس الهجري (12م)، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 223.

(8) البكري : المصدر السابق، ص 181. كذلك، الاستبصار في عجائب الأمصار : نفس المصدر، ص 223.

صورة عارية الأجساد، وذلك وفقا لتقاليدهم الاجتماعية السائدة، إلا أنهم وبعد الإسلام أصبحوا في ملابس لأجل الصلاة، إلا أن العادات بقيت في صورة مرسومة في مجتمعهم[1].

- الاحتفال بالمناسبات :

لقد كان أهل المملكة يحتفلون بالأعياد والمناسبات، ومن بينها إحياء شهر رمضان ببذخ كبير، وإحاطته بالإجلال، والتعظيم، وكذا ممارسة الطقوس الدينية والشعائر المقامة على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه[2]، فحسب ما أخبرنا به ابن بطوطة، الذي كان حاضرا في شهر رمضان في بلاط السلطان منسى سليمان، أنهم كانوا يحيونه بالذكر الحكيم، وكان ذلك بحضور كل من القاضي، والخطيب، والفقهاء، حيث كان السلطان يكرمهم ليلة السابع والعشرين من رمضان ؛ أي ليلة القدر، حيث منحهم مالا يسمونه بالزكاة، كما منح ابن بطوطة ثلاثة وثلاثين مثقالا وثلثا[3].

وكان من عادتهم في هذا الشهر الفضيل أن يقوم الحاكم بزيارة لعلماء المنطقة وقاضيها، حيث يمنحهم الهدايا والصدقات[4] ويذكر محمود كعت احتفالهم بهذه الليلة بقولـه : « وإذا كانت ليلة القدر يأمر بطبخ الطعام ثم يجعل المطبوخ في المائدة أي القدح الكبير ويحملها فوق رأسه وينادى قراء القرآن وصبيان المكتب ويأكلونها تعظيما لهم والقدح على رأسه يحملها وهو قاعد وهم قائمون يأكلون تعظيما لهم وهم على ذلك إلى هلم جرا »[5].

كما كان من عادة الأمراء الإفطار بدار السلطان، حيث يأتي كل منهم بطعامه تحمله عشرون أو أكثر من جواريه، ومما يدل على إحياء هذه المناسبة بضيافة الطعام هو رؤية

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص – ص 218 - 219.
(2) إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 308.
(3) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 238.
(4) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 205.
(5) محمود كعت : المصدر السابق، ص 180 .

ابن بطوطة لحوالي مئة جارية بالطعام يخرجن من القصر، وكان ذلك ليلة سبعا وعشرين من الشهر الفضيل[1].

أما فيما يخص مناسبة عيدي الفطر والأضحى، فقد كان الناس يقصدون أقرب مصلى من قصر السلطان، وهم يرتدون الثياب البيض[2]، كما كان السلطان راكبا وهو يضع على رأسه طيلسانا، وكانوا يقومون بالتكبير والتهليل عند خروج السلطان حيث يحمل الأخير بين يديه علامات حمر من الحرير، وبعد أن تقضى الصلاة والخطبة[3]، يجلس الخطيب بعد إتمامه بالقرب من السلطان، حيث يتحدث كلاما ويقوم رجل بينهم يحمل رمحا بإيصال الكلام للناس[4] ؛ وكان عبارة عن وعظ وتذكير وثناء على السلطان وتوجيه على التزام طاعة سلطانهم وأداء حقه.

أما السلطان فكان مجلسه في أيام العيدين بعد العصر على البنبي، حيث تأتي السلحدارية حاملة سلاحا عجيبا يتكون من تراكش الذهب، والفضة، وكذلك السيوف المحلات بالذهب والأغماد الذهبية، ورماح من ذهب وفضة، ودبابيس البلور كما يقف على رأسه أربعة من الأمراء يقومون بطرد الذباب عليه، حيث يحملون في أيديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج، بالإضافة لجلوس كل من الأمراء، والقاضي، والخطيب كعادتهم، كما يقبل دوغا الترجمان جالبا نساءه الأربع وجواريه قدرن بحوالي 100جارية، كما يجلس الدوغا على كرسي نصب من أجله ويقوم بضرب آلته المصنوعة من قصب وتحتها قريعات، فكان غناؤه عبارة عن شعر يمدح فيه السلطان، حيث يذكر غزواته وانتصاراته وأفعاله كما يساعدنه نسوته وجواريه بالغناء بالإضافة للعبهن بالقسي، كما يكون معه نحو 30 من غلمانه لكل واحد منهم طبله يضربه، وأما فيما يخص أصحابه الصبيان فيلعبون ويتقلبون في الهواء، حيث يقومون بحركات خفيفة رشيقة، كما كان لعبهم بالسيوف في صورة بهية، وكان الدوغا من جهته يلعب بالسيف لعبا بديعا، حيث يقوم السلطان في هذه المناسبة بالإحسان له ويأتون له بصرة تضم200 مثقال تبرا.

---

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص – ص 244 - 245.
(2) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق، ص 106.
(3) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص – ص 240 - 241.
(4) عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 50.

وكان للشعراء عادة في الإنشاد يوم العيد تعرف بالأضحوكة[1]، حيث وبعد أن يتم الدوغا لعبه يوم العيد فيقبل عليه الجلا ومفردها جالي ؛ وكان كل واحد منهم في جوف صورة صنعت من الريش شبيهة بالشقشاق، في حين صنع رأسها من الخشب، ومنقارها ذو لون أحمر شبيه برأس الشقشاق، ويقفون أمام السلطان بهيئتهم المضحكة ويقومون بإنشاء أشعارهم ؛ حيث كانت عبارة عن شعر وعظي فيخبرون السلطان بأن الذين سبقوه في الجلوس قاموا بأعمال، وأفعال خيرية ظلت ترسم أسماءهم رغم رحيلهم، حيث يوصونه بالإقتداء بهم والسير على خطاهم حتى يذكر بعد مغادرته البنبي بهاته الأعمال الخيرة[2]، وبعدها يصعد كبير الشعراء على درج البنبي ويضع رأسه على حجر السلطان، ثم يقوم بالصعود كذلك إلى أعلى البنبي واضعا رأسه على كتفه الأيمن، ومنها على كتفه الأيسر، متكلما بلسانهم وبعدها ينزل، حيث كان هذا الفعل منذ القدم، واستمروا عليه حتى بعد إسلامهم[3].

ومما كان شائعا في هذه المناسبة، هو إطالتهم للسهر، وقضاء وقتهم في الغناء والرقص وكذا الطرب والموسيقى ودق الطبول[4].

أما فيما يخص الاحتفال بمولد سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أي المولد النبوي الشريف، فقد روى ابن بطوطة قصته عند دخوله لبلد نسي اسمه إلا أنه بقي اسم أميره الحاج فربا سليمان راسخا في ذهنه، وكان دخوله لهذه البلدة موافقا ليوم المولد النبوي الشريف، وذلك نظرا لاحتياجه بعضا من الذرة، فقدموا له مشروبا سمي بالدقنو وهو عبارة عن ذرى خلط بقليل من العسل، أو اللبن حيث كانوا يشربونه مكان الماء، وقدم له بطيخا أخضر، وغلاما خماسيا[5] ؛ أي ابن خمس سنوات[6]، فأخذه ابن بطوطة بالإضافة

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 241.
(2) عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 50.
(3) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص 242.
(4) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 223.
(5) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص – ص 247 - 248.
(6) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 206 (الهامش).

بالإضافة لتقديم الطعام له، حيث أكرموا سعيه نظرا لهذه المناسبة الكريمة، إذ قال في ذلك : « و لم أر في السودان أكرم منه ولا أفضل »[1].

وبالتالي يتضح أن أهل مملكة مالي كانوا يحتفلون بمختلف المناسبات الدينية، فيكرمون فيها ضيوفهم، ويقدمون فيها الطعام، والهدايا بالإضافة لبعض الأعمال الاحتفالية الأخرى.

المطلب الثالث : العادات الحسنة والسيئة :

يعود الفضل الأكبر في وصف الحياة الاجتماعية لمملكة مالي إلى الرحالة المغربي ابن بطوطة، الذي زار المملكة عام (753 – 754هـ / 1352 – 1353م)، أين وقف على كل كبيرة وصغيرة، وسجل انطباعاته حول العادات الممارسة من قبل أهل مالي وذكر ما استحسنه منها وما استنكره، و من ما استحسنه ابن بطوطة نجد[2] :

• **قلة الظلم وانتشار العدل :** يشتهر أهل مالي بكرههم الشديد للظلم، وهو الشيء الذي لا يتسامح فيه سلطان مالي مع أحد مهما علا شأنه[3]، وقد قدم ابن بطوطة مثاليين على سياسة العدل التي تبناها ملوك مالي وحرصوا على تطبيقها، أولها عندما حضر ابن بطوطة مجلس السلطان، إذ قدم أحد الفقهاء، وأخبر السلطان بأن الجراد كثر بالمملكة وإن ذلك ينم عن كثرة الظلم بالبلاد عندها قام السلطان مخاطبا أمراءه : « إني بريء من الظلم ... و من علم بظالم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم في عنقه، والله حسيبه وسائله »، ويحكي ابن بطوطة قصة التاجر المسوفي الذي اشتكى للسلطان منسا سليمان ظلم مشرف ايوالاتن، فقام منسا سليمان بإحالتهما إلى القاضي، ولما أثبتت التهمة على المشرف رد منسى سليمان للتاجر مظلمته و قام بعزل المشرف من منصبه[4].

• **الأمن :** انعكست سياسة العدل التي تبناها ملوك مالي على حالة الأمن في المملكة، والذي يعتبر قيمة اجتماعية أساسية في ازدهار الحضارات[5]، حيث يصف ابن بطوطة حالة الأمن

---

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص – ص 247 - 248.
(2) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 246.
(3) حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق، ص 127.
(4) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص 242.
(5) أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 191.

الأمن التي تميز المملكة بقوله : «... فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاضب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة ، إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذ مستحقه... »[1].

• **الكرم :** اشتهر أهل المملكة بالكرم، وحسن ضيافة الوافد عليهم حيث أكرم منسا موسى أبا إسحاق الساحلي وأعطاه اثني عشرة ألف مثقالا من الذهب[2]، كما أكرم منسا سليمان وفادة ابن بطوطة بالعطايا[3].

أما عن العادات السيئة المتأصلة لدى أهل مالي، والتي لا تغدو أن تكون أكثرها ممارسات، وطقوس وثنية مخالفة لتعاليم الإسلام تتمثل في ما يلي :

• **العري :** كانت هاته العادة مستشرية بين نساء المملكة حيث كانت الجواري يظهرن عاريات أمام الملأ، و منها أيضا دخولهن على السلطان وأمرائه يحملن الطعام وهن عرايا[4].

• **التتريب :** تمثل عادة التتريب تقليدا اجتماعيا، وعادة متأصلة لدى أهل مالي، وتمارس هذه العادة في حضور السلطان، فإذا مثل أحدهم بين يديه تبدو عليه مظاهر الذلة، ويقوم بقذف التراب على رأسه مرتين أو ثلاث مرات[5]، ويقف الشخص كالراكع عند سماعه للملك، فإذا رد عليه هذا الأخير، يعمد المنعم عليه بكشف ثيابه عن ظهره، راميا التراب على رأسه، وظهره كالمغتسل بالماء، ويعد ذلك من الأدب عندهم، ومن أمثلة ذلك أن الوفد الذي أرسله منسا سليمان إلى السلطان المريني أبي الحسن مارسوا عادة التتريب في حضرة سلطان المغرب – مهما قال لهم السلطان المريني من قول حسن – كما كانوا يمارسونها في بلادهم[6].

• **منع العطس** : أعتبر العطس داخل البلاط السلطاني تقليدا ممنوعا، فإذا عطس أحد في حضرة السلطان يضرب ضربا شديدا، ولا يستثنى أحد من ذلك مهما كانت مكانته، فإذا

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 244.
(2) ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج 6 ، ص 268.
(3) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 210.
(4) عبد الهادي التازي : المرجع السابق، ص 51.
(5) س. هوارد : المرجع السابق، ص 42.
(6) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص 240.

شعر أحد بحاجة للعطس يقوم بالانبطاح حتى لا يعلم به أحد، وفي حال إذا ما عطس الملك فيقوم الحاضرون بضرب صدورهم بأيديهم.

ومن عادتهم أيضا أن لا يدخل على الملك كائنا من كان بالحذاء، فإذا دخل أحدهم بنعله، سواء كان ذلك بقصد أو من غير قصد قتل دون عفو[1].

• **السحر والشعوذة :** يعد السحر من الآفات الاجتماعية، والممارسات الوثنية المتجذرة التي أحكمت قبضتها على أهل المملكة، سواءً الملوك أو الرعية فنجد مثلا أن ملك الصوصو سوماورو كان ساحرا عظيما، أكثر من ذلك فقد كان الاعتقاد السائد لدى أهل المملكة أن للسحر دور فعال في تحقيق الانتصارات كما هو الحال في انتصار كرينا، الذي انتصر فيه سونجاتا على سوماورو في حرب التمائم والسحر كما يسميها نياني[2]، وكان لأهل مالي خبرة في تركيبه، ولهم عناية خاصة به لذلك فهم يقرنون كل الأمراض والأضرار بالسحر[3]، الذي كانوا يؤمنون ويعتقدون بمفعوله، وأنه قد يؤدي إلى موت الإنسان وكثيرا ما كانوا يتحاكمون بسببه عند ملكهم الذي كان يحكم بالقصاص على القاتل فيقتل الساحر[4].

الساحر[4].

ومن العادات المستقبحة أيضا أن كثيرا من أهل المملكة يأكلون الجيف، والكلاب، والحمير، ومنها أيضا رمي التراب على رؤوسهم وأجسادهم تأدبا مع السلطان[5]، ومنها عادة الوشم التي هي من معتقدات الوثنية ، فمن عادتهم إذا بلغ احدهم الحلم يقوم بوشم وجهه وصدغاه بالنار[6].

أما عن تأثيرات الإسلام في العادات والتقاليد فمن المعروف أنه من الصعب التخلي والتحول عن عادات متأصلة في المجتمع بسهولة، ومع ذلك فقد استطاع الإسلام القضاء

---

(1) القلقشندي : المصدر السابق، ص 300. ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 65.
(2) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 143.
(3) حسن عيسى عبد الظاهر : المرجع السابق، ص 135.
(4) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 64.
(5) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 245.
(6) الإدريسي : المصدر السابق، ص 19.

على بعض العادات والطقوس الوثنية السيئة[1]، فعلى سبيل المثال هذبت عادة التتريب التي تمثل إحدى صور الخضوع التام، وتفقد المرء كرامته في سبيل إرضاء السلطان واقتصرت تحية الملك على التصفيق[2]، ويظهر تأثير الإسلام أيضا من خلال حرصهم على الصلاة، ومواظبتهم على تأديتها، والتزامهم لها في جماعات، إذ تكتظ المساجد يوم الجمعة بالمصلين، لدرجة أنه إذ لم يبكر المرء بارتياد المسجد لم يجد مكانا يصلي فيه لكثرة الزحام[3]، بالإضافة لحرص أهل مالي وحكامهم ورغبتهم الملحة في أداء فريضة الحج التي أصبحت تقليدا لدى حكام مالي الذين كانوا يخرجون في مواكب ضخمة[4].

ومنها إذا طلب الإنسان غريمه فاستجار الأخير بالمسجد أو بمنزل الفقيه، فلم يطلبه احتراما لحرمة المسجد وصاحبه، إلا أن هذه الاستجارة لا يجب أن تتعارض مع التعاليم الإسلامية، فإن كان المستجير مذنبا، تتم معاقبته وفقا لحدود الشرع الإسلامي[5].

هذا وفي ختام هذا الفصل يمكن القول أنه من خلال إبراز بعض مظاهر تأثير الإسلام - على سبيل المثال لا الحصر - في عادات وتقاليد أهل مالي سواء بضمور بعض العادات الوثنية المذمومة، أو باكتساب عادات إسلامية حسنة يظهر مدى استيعاب، وتعلق أهل مالي بالإسلام، كما يتضح كذلك الامتزاج بين التقاليد العربية وتقاليد المجتمع القديمة.

---

(1) شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، المرجع السابق، ص 120.

(2) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 211.

(3) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 244.

(4) ظاهر جاسم محمد : **دراسات تاريخية في العلاقات العربية الإفريقية**، دار شموع للثقافة، الزاوية الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط $_1$، 2003، ص 37.

(5) بشار أكرم جميل الملاح : المرجع السابق، ص 141.

الفصل الثالث : الحياة الاقتصادية في مملكة مالي الإسلامية.

المبحث الأول : الفلاحة.

المطلب الأول : طرق الزراعة وأساليب الري.

المطلب الثاني : أهم المحاصيل الزراعية.

المطلب الثالث : الثروة الحيوانية.

المبحث الثاني : الصناعة.

المطلب الأول : أهم المواد الأولية.

المطلب الثاني : أهم الحرف.

المبحث الثالث : التجارة.

المطلب الأول : المراكز التجارية.

المطلب الثاني : السلع و البضائع.

المطلب الثالث : أهم الطرق التجارية.

المطلب الرابع : نظم التبادل التجاري.

إذا ما أريد دراسة الحياة الاقتصادية في المملكة علينا الإطلاع على دعائم اقتصادها من زراعة، وصناعة، وتجارة.

المبحث الأول : الفلاحة :

المطلب الأول : طرق الزراعة وأساليب الري :

تمثل الزراعة إحدى دعائم الاقتصاد لأهل المملكة، إلا أنهم لم يولوا اهتماما كبيرا بها، نتيجة ولعهم بالتجارة، فلم تظهر طرق جديدة للزراعة، ولا لأساليب الري[1]، بالإضافة لنقص الوسائل الفلاحية، حيث لم تعرف الزراعة انتشارا كبيرا خاصة في المناطق الحارة[2]، ولم تكن هناك طبقة من الفلاحين سواءً على هيئة أقنان مرتبطين بالأرض، أو رجال أحرار لفلاحتها، فلم يكن هناك سوق تباع فيه المنتجات الزراعية، وعليه لم تكن الزراعة هامة[3].

ولكن بدخول الإسلام إلى المنطقة عمل على منع الغزو والسلب مما أثمر اتجاه الناس إلى العمل الزراعي ليكسبوا ما يسد رمقهم، فتركوا الترحال، وحياة الغابات واستقروا في خدمة الأرض الزراعية بصورة دائمة[4]، ومما ساعدهم على ذلك توفر المملكة على تربة خصبة في بعض المناطق، ومياه عذبة، وكثافة سكانية عالية[5]، وقد أكد هذا محمود كعت بقوله أن : « مل تشتمل على نحو أربعماية مدينة وأرضها كثيرة الخير »[6].

وقد انتشرت الزراعة في المدن الواقعة على ضفاف الأنهار أكثر من المناطق الداخلية، يعود هذا كون الأولى تتميز بخصوبة أراضيها، مثل نهر غامبيا الذي تروي الأمطار الغزيرة كامل مجراه، مما ينتج عنه ترسب تربة غرينية خصبة على ضفافه[7].

---

(1) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 416.

(2) André Miquel : **l'islam et civilisation destines du monde**, XII^{e} XX^{e} siècles, libraire Armand colin, 1968, p 236.

(3) ك. مادهو بانيكار : نفس المرجع، ص 417.

(4) نعيم قداح : المرجع السابق، ص 141.

(5) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 79.

(6) محمود كعت : المصدر السابق، ص – ص 38 – 39.

(7) مادينا لي – تال : المرجع السابق، ص 186.

أما فيما يخص الوسائل التي اعتاد الفلاح على استخدامها في عمله فتميزت ببساطتها، وتمثلت في المعزقة ذات المقبض الصغير، والفأس، والسكين. بالإضافة لإتباع الفلاحين في زراعتهم نظام الزراعة بالراحة ؛ أي يزرعون الأرض عامين أو ثلاثة أعوام متتابعة، وبعدها يتركونها فترجع كما كانت، ويعمدون للنزوح إلى منطقة قريبة منهم ليزاولوا فيها الزراعة بصورة جديدة[1]، ومما يبرهن على تطور الزراعة، وكفاءة الإنسان المالي هو اعتماده في زراعته على استخدام السماد للتربة، ويتمثل هذا السماد في روث البقر الذي يساهم في تحسين المحاصيل الزراعية[2]، وقد كان للفلاحين التواتيين المقبلين على المملكة دور كبير في تطوير الزراعة، حيث جلبوا معهم الأسمدة، وكذا وسائل جديدة للزراعة مثل المحاريث[3].

أما عن أساليب الري، ففي بداية الأمر كان يتم السقي عندهم بالاعتماد على الري الصناعي، وتجسد هذا في الواحات الصحراوية وعلى ضفاف نهر النيجر والسنغال[4]، بالإضافة لاعتمادهم على الأمطار إلى جانب المجاري المائية، وهذا في فصل الأمطار، إذ يحرصون على الزراعة في المناطق الواقعة على ضفاف الأنهار[5]، ولكن نتيجة للخبرات الوافدة إلى المملكة أصبحت الأرض تستغل بصورة جيدة، مما أدى إلى انتشار الزراعة في المناطق الجبلية والداخلية[6]، هذا ما دفع بهم إلى تطوير أساليب الري، فنتج عنه بروز عدة عدة أنماط من الزراعة طبقا للمناطق، فتوجد الزراعة التي تعتمد على مياه الأمطار، وهي تنتشر في مناطق السفانا، وكذا الزراعة الدائمة بواسطة الفأس، والحفارة وهي تمارس في منطقة الغابات[7].

ومما نتج عن توغلهم بالزراعة إلى المناطق الداخلية، هو لجوؤهم لحفر الآبار بغية السقي، إذ كان بعضها من النوع الارتوازي ؛ وهو عبارة عن حفر الآبار لغاية الوصول

---

(2) ب. س. لويد : **إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي**، تر، شوقي جلال، عالم المعرفة، أبريل 1980م، ص 32.
(2) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 419.
(3) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 158.
(4) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 242.
(5) مادينا لي – تال : المرجع السابق، ص 186.
(6) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص 158.
(7) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، نفس المرجع، ص 242.

لحجر صلب يتم كسره بمعاول، وفؤوس فينبعث منه الماء[1]، وكانوا يعرفون أساليب أخرى في مجال السقي، وهذا خاصة في سقي الأشجار، إذ أنه هناك أشجار معروفة عندهم مجوفة، حيث تجتمع في تجاويفها مياه الأمطار، وبالتالي تبقى كالحياض، فمعروف أن الأمطار تكون غزيرة في فصل الصيف، مما يؤدي إلى تجمع مياه الأمطار في تجاويف هذه الأشجار، وتبقى إلى فصل الشتاء الذي يتميز بجفافه وقلة أمطاره، وتسقى هذه الأشجار بالمياه المحفوظة في تجاويفها[2].

ومنه حرص سكان مملكة مالي الإسلامية على تطوير الزراعة والاهتمام بها، إذ تعلموا أساليب زراعية جديدة ومتقنة مثل سحب المياه للري الواسع، واستعمال الأسمدة، مما أثمر عليه انتشار الزراعة في مناطق متعددة داخل المملكة[3].

المطلب الثاني : أهم المحاصيل الزراعية :

ازدهرت الحركة الزراعية بمملكة مالي بمرور الزمن عبر تاريخها – وإن لم تكن تلقى نفس نصيب رواج التجارة فيها -، وكانت شعوب الماندينغو تشتغل بالزراعة منذ زمن قديم، حيث يصفهم عصمت عبد اللطيف دندش بقوله : « (...) وهم (أي الماندينغو) من الزراع المهرة »[4]، بيد أن المحاصيل الزراعية لم تكن متوفرة كثيرا بالمملكة، نظرا للحرارة الشديدة وقلة الأمطار التي تتسبب في جفاف التربة، وبالتالي عدم نمو المحاصيل[5]، وفي هذا الصدد يذكر العمري أن المملكة : « (...) شديدة الحر، قشفة المعيشة، قليلة أنواع الأقوات (...) »[6].

---

(1) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 30.

(2) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص – ص 234 – 235.

(3) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 158.

(4) عصمت عبد اللطيف دندش : المرجع السابق، ص 45.

(5) مارمول كاربخال : المرجع السابق، ج 1، ص 53.

(6) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 59.

ويصف ابن بطوطة مدينة تغازى (وهي عصرئذ تابعة لمملكة مالي) بجدبها الشديد، وخلوها من الأشجار لاحتواء رملها على معدن الملح[1]، وهو ما وضحه من قبل القزويني بقوله : « (...) وليس بهذه المدينة زرع ولا ضرع (...) »[2].

إلا أن الأقاليم الواقعة على نهر النيجر تمثل أراضي خصبة صالحة للزراعة وذلك لما امتازت به من خصوبة تربتها، ووفرة مياهها، فاتجهوا نحو زراعة الأرض[3]، ومن أهم المحاصيل المتوفرة بالمملكة نجد :

1 - الحبوب :

انتشرت زراعة الحبوب بالمملكة، ولعل أبرزها الأرز الذي يعتبر من أقدم المحاصيل في المملكة، وهو أصلي بالمنطقة وليس وافدا من آسيا، وتتركز زراعته على ضفاف أودية نهر النيجر، والسنكراني[4]، على غرار إقليم كوكو الذي تنتج أرضه كميات كبيرة من الأرز، هذا ويعتبر الأخير الغذاء الأساسي لأهل المملكة لكثرة ما يزرع عندهم، حتى أنها حققت الفائض في إنتاجه، وأصبحت قادرة على تصديره[5]، وإلى جانب الأرز توفرت المملكة على الفوني ؛ وهو نوع من الحبوب يستخرج منه حب شبيه بالخردل، ويكون أبيض اللون، يطحن ثم يعجن ويصنع منه الخبز[6]، بالإضافة إلى وجود الحنطة لديهم وإن كانت قليلة[7].

وعندهم أيضا الذرة (الدخن) وهي متوفرة بشكل كبير في المملكة، تتركز زراعتها في التربة الجافة، وتعتبر الغذاء الأساسي لمنطقة السهل التي تكثر بها الأمطار[8]، ولأهل المنطقة ككل فمنها يقتات سكان المملكة، ويطعمون خيولهم وماشيتهم[9].

---

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص – ص 230 – 231.
(2) القزويني : المصدر السابق ، ص 26.
(5) محمود كعت : المصدر السابق، ص 38.
(4) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص، ص 130، 175.
(5) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 243.
(6) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص62.
(7) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 78.
(8) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 175.
(9) القلقشندي : المصدر السابق، ص 89.

2 - الخضروات :

كما اشتهرت المملكة بزراعة العديد من الخضروات، ومن أهمها نجد اللوبياء، والبصل، والثوم، والباذنجان، والكرنب، ويوجد عندهم أيضا الملوخية البرية[1]، ونبات اسمه القافي يشبه القلقاس تصنع منه العصيدة، وهي من أطيب الأطعمة لديهم، بالإضافة إلى القرع الذي كانوا يصنعون منه صحونا وجفانا يأكلون فيها، إضافة على اعتمادهم عليه في غذائهم، وفي مدينة كوكو يوجد الفقوس العنابي الذي لا نظير له حسب ابن بطوطة[2]، بالإضافة إلى القثاء الذي تكثر زراعته في إيوالاتن[3].

3 - الفواكه :

أما عن الفواكه فهي ليست متوفرة بشكل كبير في المملكة، ويعتبر الجميز من الفواكه البستانية الأكثر حضورا بها، بالإضافة إلى وجود غابات بها أشجار مثمرة، منها شجرة تسمى تادموت ؛ ثمرها عبارة عن قواديس بداخلها شيء يحمل دقيق الحنطة لونه أبيض، طعمه حلو مستطاب[4].

ويذكر ابن بطوطة نوعا آخرا من هاته الأشجار المثمرة، منها ما هو شبيه بثمرة الإجاص، والتفاح، والخوخ، والمشمش، بالإضافة إلى أشجار يشبه ثمرها الفقوس، وعندهم أيضا الغرتي ؛ وهو ثمر يشبه الإجاص، وهو شديد الحلاوة[5].

ومنها شجرة تسمى زبيزور يشبه ثمرها قرون الخروب ويستخرج منها ما يشبه دقيق الترمس ذو طعم حلو مستطاب، ويوجد لديهم شجر يسمى قومي ؛ له ثمر شبيه بالسفرجل في شكله وطعمه حلو كطعم الموز، بالإضافة إلى شجر يسمى قاريتي؛ ثمره يشبه الليمون في شكله، ومذاقه كطعم الكمثرى[6]، وإلى جانب ذلك يذكر كعت وجود شجرة كور[7] في مالي، بالإضافة إلى شجرة تسمى تورزي بها ثمر كبير منتفخ، وبداخله صوف

---

(1) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 62.
(2) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 248.
(3) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 384.
(4) القلقشندي : نفس المصدر، ص 288.
(5) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص 235.
(6) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نفس المصدر، ج 4، ص – ص 62 – 63.
(7) محمود كعت : المصدر السابق، ص 39.

أبيض[1]، وتتوفر المملكة أيضا على الثمرات البرية وعلى الرغم من أنها غير مستطابة إلا أنها تعد قوت الكثير من أهل المملكة[2].

وقد برز تأثير الحضور العربي الإسلامي جليا في المجال الزراعي، وفي نقطة المحاصيل الزراعية بصورة خاصة، وذلك من خلال ظهور بعض المحاصيل الزراعية الجديدة الوافدة على المملكة من الدول العربية الإسلامية، أو على الأقل إبداء اهتمام سكان المنطقة بزراعة بعض المحاصيل التي لم تكن زراعتها مزدهرة في المملكة، ومن بينها زراعة القطن، فهذا الأخير كان موجودا في المملكة منذ وقت طويل بيد أن زراعته شهدت توسعا وانتشارا تزامن مع انتشار الإسلام بالمملكة[3].

ويقال أن بذرة القطن جلبت إلى السودان الغربي (بما فيه مملكة مالي) من شمال إفريقيا[4]، كما تنسب الروايات التاريخية إدخال زراعة القطن إلى المملكة للملك المسلم سانديانا (ماري جاطة)، حيث قام هذا الأخير بتشجيع السياسة الزراعية بالمملكة[5].

وقد تركزت زراعة القطن في أعالي نهر النيجر، وفي المناطق المتوفرة على المياه بمعدل أمطار كافي لزراعة هذا المنتوج[6]. ومن بين المحاصيل الأخرى التي استزرعت بالمملكة نجد زراعة القمح، الذي تركزت زراعته على ضفاف نهر النيجر وأصبح يشكل مادة أساسية لغذاء الطبقات الميسورة[7]، ويعزى دخول هذا المحصول إلى العرب من سكان سكان الشمال الإفريقي[8].

---

(1) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 85.

(2) القلقشندي : المصدر السابق، ص 289.

(3) أ. ج. هوبكنز : المرجع السابق، ص 94.

(4) الشيخ الأمين عوض الله : **طرق القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر**، بغداد، 1404هـ / 1984م، ص 89.

(5) عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، المرجع السابق، ص 22. إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص 300. جوان جوزيف : المرجع السابق، ص 67. حسين مؤنس : الإسلام الفاتح، المرجع السابق، ص 111.

(6) ب. س. لويد : المرجع السابق، ص 32.

(7) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 36.

(8) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 156.

المطلب الثالث : الثروة الحيوانية :

لقد كان يوجد إلى جانب الثروة الزراعية ثروة حيوانية هائلة في مملكة مالي[1]، فبالإضافة لاهتمامها بالجانب الزراعي في اقتصادها لم تغفل على إعطاء الجانب الحيواني مكانته هذا ما جعلها تهتم بتربية المواشي، واصطياد الأسماك[2].

فيوجد منها الحيوانات المستأنسة والبرية، فالحيوانات المستأنسة ؛ وهي التي كانت تربيتها تتم في البيوت نذكر على سبيل المثال لا الحصر الأغنام، والماعز، والبقر، والإبل حيث كانوا يستخدمون لحومها في غذائهم، ويصنعون لباسهم من صوفها ووبرها[3].

وقد أخبرنا العمري أن أغنامهم ومعزهم كانت بلا مرعى حيث كان مقصدها القمامات والمزابل، وكانت معزهم الواحدة منها تلد من سبعة إلى ثمانية في بطن واحد[4].

أما فيما يخص الحيوانات البرية فتتمثل في الغزلان، والأسود، والنمور، والزرافات، وحمار الوحش، والفيلة، والجاموس البري[5]، ومما يثبت على وجود الزرافات في المملكة هو بعثها كهدية من طرف السلطان منسا زاطة للسلطان أبي سالم المريني[6]، كما أمدنا القزويني بأن الزرافة في بلاد التكرور كانت كثيرة جدا حيث يجلبونها ويذبحونها مثل البقر[7].

كما كانت المملكة تحتوي على الخيل ونوعها كان من الأكاديش التترية، وكانت دوابهم تتمثل في البقر، والغنم، والحمر، حيث يوجد منهم إلا ذميم الخلق صغير الجثة[8]، وقد انعدمت عندهم الخيول الأصيلة حيث كانوا يستوردونها من الشمال الأفريقي، وكان استخدامها يتم من طرف أفراد حاشية الملك أثناء قيامهم بالتجول في المدينة، وكذلك يستخدمها التجار في أسفارهم المختلفة، وقد كانت أسعارها باهضة حيث كان اقتناؤها من

---

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 79.
(2) إسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر : المرجع السابق، ص – ص 204 – 205.
(3) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 79.
(4) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 64.
(5) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 79.
(6) ابن خلدون : العبر، المصدر السابق، ج 7، ص 411.
(7) القزويني : المصدر السابق، ص 26.
(8) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 62.

طرف الطبقة الثرية فقط[1]، ومما يثبت ذلك أن ابن بطوطة لم يتمكن من شراء خيل للتنقل به في مالي أثناء رحلته حيث قدر ثمنه بمائة مثقال من الذهب.

كما شاهد ابن بطوطة أثناء رحلته في مالي دابة تعرف بخيل البحر، حيث شاهد منها ست عشر دابة تبدوا ضخمة الخلق فظنها فيلة إلا أنه رآها تدخل النهر حيث كانت تفوق الخيل في حجمها، وكان لها أعراف وأذناب، أما شكل رؤوسها فشبيه برؤوس الخيول، أما أرجلها فتشبه أرجل الفيلة، كما شاهد هذا النوع من الدواب في طريقه من تنبكتو إلى كوكو، حيث رآها تعوم في الماء وهي رافعة لرأسها هذا ما جعل أهل المركب يخافون منها، حيث نزحوا إلى البر خوفا من أن تقوم بإغراقهم.

أما فيما يتعلق بطرق صيدها فإنهم يتبعون الطريقة التالية ؛ حيث يقومون برمي رماح مثقوبة حيث يكون في قبها شرائط وثيقة، ويضربون الفرس فإن صدمت الضربة رجله أو عنقه نفذ وجذب بالحبل حتى وصوله للساحل، فيقتلونه ويأكلون لحمه، وكان دليل ذلك العظام المنتشرة على الساحل[2].

كما كان لهم حيوان يسمى ترمّى ؛ « بضم التاء المثناة والراء المهملة وتشديد الميم » وهو عبارة عن وحش في قدر الذئب، يتولد بين الذئب والضبع ؛ أي هو عبارة عن خنثى، وقد كان يأكل الآدمي أو المراهق الصغير إذا ما وجده في الليل، أما في النهار فإنه لا يتعرض لأحد أبدا، وكان نعاره يشبه نعار الثور إذا ما أراد النطاح، بالإضافة لكونه كان ينشب الموتى ويأكلهم، وكانت أسنانه متداخلة تشبه أسنان التمساح في التصفيح[3].

بالإضافة للجمل فقد عد من بين أهم الثروات الحيوانية، وهذا لكونه أقدر حيوان قادر على تحمل مصاعب السفر، وورود المياه المالحة[4]، ولقد كان الجمل خير معين في نقل التعليم والعقيدة الإسلامية إلى بلاد السودان الغربي، كما أنه شكل ثروة في مجال وسائل النقل، فلم يعد هناك ما يشكل عزلة، فلا القفار ولا الرمال الزاحفة توقفه، كما أنه شكل

---

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 333.

(2) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 245.

(3) القلقشندي : المصدر السابق، ص 287. ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 64.

(4) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 63.

مصدرا هاما للغذاء بالإضافة لاستفادتهم من جلوده في بعض الصناعات المختلفة كصناعة الصنادل، والأكياس، والقرب، والفرش، بالإضافة لاستعماله كوسيلة لنقل الثقافة، والأفكار، والعقائد، وذلك بواسطة نقله للكتب وركوب العلماء والمثقفين في رحلاتهم عليه[1].

بالإضافة لانتشار الجواميس فقد كان انتشارها بكثرة في الصحاري، وكان صيدها يتم كصيد الوحوش ؛ حيث يحملون الصغار من بطونها وما يربى عندهم في البيوت، وعندما يريدون صيد الجواميس يخرجون إحداها ويضعونها بموضع الجواميس وبعدها تراها وتقصدها، فتألفها يقومون برمي نشار مسموم، ومن ثم يقومون بقطع مواضع السم بموضع الرمية وما حولها، ويأكلون الباقي[2].

كما كانت الغابات تحتوي على عدد هائل من الفيلة، وقد استعملت أنيابها في تجارة العاج[3]، وقد كانت تتصف بكونها وحشية لا مستأنسة، حيث كانوا لا يستعملونها لا في حروبهم ولا غيرها إنما يقتلونها.

أما فيما يخص طريقة الإيقاع بها فتتمثل في أن يقوم الرجال بطرح نوع من ورق الشجر، ولحائه، وأغصانه، ويكون بأرضهم الماء، ويختبئون ثم تأتي الفيلة، وبعد شربها تحترق وتسكر وتقع فيخرجون لها بعد ذلك بالحراب العظيمة يقتلونها، والهدف كله هو أخذ أنيابها[4]، وقد ذكر العمري أن الفيلة يتم اصطيادها من بلاد الكفار المجاورة لهم.

فإلى جانب خيل البحر عدت التماسيح من بين الحيوانات البحرية حيث بلغ طولها عشرة أذرع أو يزيد، وقد قال العمري نقلا عن الدكالي : « وصيد منها تمساح وضع في قلبه رمح طوله عشرة أشبار، ومراراته سم، وهي تحمل إلى خزانة ملكهم » ؛ أي أن مرارتها السامة كانت توضع في خزانة الملك، وربما يعود ذلك لكونهم يستخدمونها في علاجهم لبعض الأمراض[5].

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص – ص 159 – 160.

(2) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 64.

(3) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 189.

(4) المسعودي : المصدر السابق، ص 331.

(5) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نفس المصدر، ج 4، ص – ص 64 - 68. كذلك، القلقشندي : المصدر السابق، ص – ص 287 – 288. الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 80.

بالإضافة لتوفر الثروة السمكية، وذلك من خلال مشاهدة ابن بطوطة للسمك في كوكو[1]، كما كان يوجد على نيلها مختلف أصناف الأسماك، والعديد من الحيتان صغيرة وكبيرة الحجم[2].

كما يوجد الطيور المستأنسة والمتمثلة في الحمام، والإوز، والدجاج، بالإضافة لوجود الطيور البرية التي كان يتم اصطيادها، والمتمثلة في النعام حيث كان ريشه يستخدم للتبادل التجاري[3]، وقد أشار العمري إلى وجود هذه الدواجن المتمثلة في الإوز، والحمام، والدجاج[4].

فإلى جانب هذه الثروة الحيوانية يوجد كذلك الأرانب، والقنافد[5]، بالإضافة لحيوان اللمط ؛ وهو عبارة عن دابة دون البقر لها قرون رقاق وحادة، كما كان يوجد الأفناك أيضا[6].

ولقد لعب الإسلام أثرا كبيرا في تشجيع هذه المملكة على تربية الماشية، والحيوانات بصفة عامة كونه حرم تربية الخنازير وأكلها، فحثهم على تربية المواشي، كما نتج عن تربيتهم لها بالإضافة للعائدات الاقتصادية أثرا دينيا تمثل في عدم أكلهم للحم البشر، والإقلاع تماما عن هذه العادة السيئة التي كانت منتشرة في مجتمعهم[7].

المبحث الثاني : الصناعة :

المطلب الأول : أهم المواد الأولية :

تربعت مملكة مالي على ثروة معدنية هامة عدت ركيزة للاقتصاد المالي، كان في مقدمتها الذهب، والملح، والنحاس، وقد كانت الصدارة في هذه المواد الأولية للذهب، إذ

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 248.
(2) الإدريسي : المصدر السابق، ص 20.
(3) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 79.
(4) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نفس المصدر، ج 4، ص 68.
(5) الإدريسي : نفس المصدر، ص 20.
(6) نبيلة حسن محمد : في تاريخ إفريقيا الإسلامية، المرجع السابق، ص 63.
(7) نعيم قداح : المرجع السابق، ص 141.

حظي بالعناية الفائقة من قبل الحكام[1]، فكان يعتبر أهم مادة أولية عند السودان كافة، إذ نسجت الأساطير حوله[2].

وقد أورد العمري قصة نبات الذهب التي ذكرها السلطان منسا موسى عندما سئل عن معدن الذهب في بلاده فذكر أنه يوجد على نوعان، نوع ينبت في زمان الربيع، والآخر يوجد في جميع السنة[3]، بالإضافة إلى أن الدالي أورد وجهة نظر أخرى حول ما أورده منسا موسى في الحصول على الذهب، تمثلت هذه الوجهة في كونها مجرد إبعاد الأنظار عن بلاده، خوفا من سرقة مواردها، أو يريد من ذلك عدم ذكر مواقع مناجم الذهب في بلاده[4]، وقد تميز الذهب باللون الأحمر. وعن كيفية استخراجه فهو يستخرج كما يستخرج الحديد، والرصاص، والنحاس، والفضة[5].

وقد تركز الذهب في المناطق الجنوبية من المملكة في منطقة وانقارة المشهورة ببلاد التبر ؛ وهي جزيرة على ضفة المحيط يحيط بها المياه من ثلاث جهات، فإذا ارتفع النيل يغطي معظم أنحائها، وإذا انخفض يظهر التبر على أرضها، ويقوم أهلها بجمعه[6]، بالإضافة لمنجم بامبوك حيث يعتبر من المناجم المهمة[7]، كما أنه يوجد في أعماق نهر النيجر، الذي يجرفه معه عند انحداره السريع من مناطق الجبال العالية[8]. (ينظر الملحق رقم05).

وبالتالي كان الذهب جد متوفر وذو أهمية كبيرة في المملكة، حيث يصف الحسن الوزان وفرة الذهب بقوله : « (...) ويملك الملك خزينة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية »[9].

---

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص، ص 76، 281.
(2) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 208.
(3) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 64.
(4) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 77.
(5) الاستبصار في عجائب الأمصار : المصدر السابق، ص 221.
(6) أنور محمد الزناتي : **عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب** لسراج الدين بن الوردي، (غير مرقون)، جامعة عين شمس، ص 78.
(7) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 77.
(8) عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، المرجع السابق، ص 188.
(9) الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 166.

وعليه كان الذهب في الصدارة بالنسبة للمواد الأولية الأخرى، ثم يأتي الملح، والنحاس، فبالنسبة للملح كان يأتي بعد معدن الذهب في القيمة والأهمية، ويتركز في عدة مناطق والأشهر إنتاجا لهذا المعدن هي تغازا[1]، وقد حدد القزويني موقعها على أنها تقع جنوبي المغرب بالقرب من البحر المحيط[2]، وعليه تعتبر تغازا على أنها مكان مأهول بمناجم الملح التي تشبه مقاطع الرخام، حيث يحمل منها الملح إلى داخل وخارج السودان الغربي، وهو من أجود أنواع الملح، بالإضافة لملاحة تغازا المعروفة كانت هناك ملاحة كرنوف ؛ وتقع جنوب مدينة زندر، وكان ما يميز ملاحات المملكة، أنه منها ما هي عامة يمتلكها أصحاب المنطقة التي توجد بها، ويأخذ عليه السلطان الخراج على الملح بعد بيعه للتجار، ومنها ما هو ملك للسلطان أصلا، وعادة ما يكون من حق السلطان ولا يباع ملح أحد إلا بعد بيع السلطان لملحه.

وقد كانت تتم عملية استخراج الملح بحفر سراديب في الأرض بعمق قامتين أو دونها، ويقطع كما تقطع الحجارة[3]، كما أن الوزان ذكر على أن الملح له عدة ألوان منها: الأبيض، والرمادي، والأحمر[4].

أما بالنسبة للنحاس فكان يأتي في الأهمية بعد الذهب، والملح، وذلك للحاجة الماسة إليه في الصناعات الحربية والزينة، وصناعة الأواني[5]، وكان معدن النحاس يستخرج من تكدا بواسطة عملية الحفر[6].

وعليه لعب النحاس دورا كبيرا، فبالإضافة لهذه المعادن السالفة الذكر عرفت المنطقة معادن أخرى منها معدن الحديد، حيث هو من المعادن المهمة أيضا، ومناجمه منتشرة في السودان الغربي ككل، بالإضافة لبروز مواد أولية أخرى منها معدن الرصاص، والكحل، والقصدير، إلا أن هذه المواد لم تكن واسعة الانتشار[7]، وكذا كان الشب، والكحل،

---

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 77.
(2) القزويني : المصدر السابق، ص 25.
(3) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص – ص 286 – 288.
(4) الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 280.
(5) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 285.
(6) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 250.
(7) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 285.

والكحل، حيث يعتبران من المواد الأولية، فبالنسبة للشب فهو يعتبر أحد العناصر الأساسية في صنع الأصبغة[1].

ومنه كانت المملكة غنية بهذه المواد الأولية، منها ما شهدت رواجا كالذهب ومنها ما لم تشهد انتشارا كالشب.

المطلب الثاني : أهم الحرف :

عرفت مملكة مالي الإسلامية نظاما صناعيا - وإن لم يكن نظاما بتكنولوجيا عالية -، وقد كانت المنتوجات الصناعية بالمملكة تعكس متطلبات السوق المحلية، هذا ولم تكن الصناعات في مالي تعتمد على الإنتاج الوافر، ونظام الأسواق إنما تجسدت في شكل حرف وصناعات بسيطة[2] كالخزف، والنجارة، والحدادة، والصباغة... وغيرها.

ويذكر الحسن الوزان أنه بقرية مالي هناك العديد من الحرفيين، والصناع، وفي مدينة تمبكتو دكاكين كثيرة لهم[3]، وعليه فمن أهم الحرف التي وجدت في مملكة مالي ما يلي :

1 – النجارة : انتشرت هذه الحرفة بشكل كبير في المملكة، نتيجة لتوفرها على شجر الأبانوس ؛ والذي صنعوا من أخشابه أسلحتهم المتمثلة في القسي، والنشابات، والدبابيس، حيث يصف الإدريسي هاته الصناعة بقوله : « (...) ولهم فيها حكمة وصناعة متقنة (...) »[4].

2 – الخزف والفخار : وكانت هاته الحرفة أيضا من أكثر الحرف شيوعا بالمملكة حيث اهتم سكانها بصناعة الفخار وتشكيله، فصنعوا منه الأواني المنزلية كالأقداح ؛ التي كان يحفظ فيها الحليب، بالإضافة إلى الزق ؛ وهو إناء عادة ما يكون صغير الحجم، ويستخدم في شرب الماء والحليب[5].

---

(1) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 37.

(2) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 409.

(3) الحسن الوزان : المصدر السابق، ص – ص 164 – 165.

(4) الإدريسي : المصدر السابق، ص 20. ابن سعيد المغربي : المصدر السابق، ص 91.

(5) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص – ص 288 – 289.

3 – الجلود : كانت هذه الحرفة تعالجها طائفة تسمى الإسكافيين، وقد ظهرت هذه الحرفة بشكل منظم في عهد سونجاتا، أين اتخذ هذا الأخير بعد انتصار كيرينا عدة إجراءات، فقسم الحرفيين إلى أربع أقسام من بينها طائفة الإسكافيين[1]، وكان أهل المملكة يصنعون من الجلود أواني منزلية كالقرب ؛ التي كانت تصنع من جلود الماعز الذي لهم في تصنيعه خبرة، حيث يقومون بالاحتفاظ به بعد ذبحه، ثم يدفنونه في الأرض لمدة معينة يكون خلالها قد زال الشعر منه، ومن ثم يوضع في الدباغ لمدة شهرين ثم يخرج، وقد أصبح ملسا وذو رائحة عطرة ليستخدموه بعدها في حفظ المواد الغذائية كالزيت، والسمن، والدقيق، وكذا اللحم المجفف[2].

4 – الحدادة : كما راجت حرفة الحدادة، وحظيت باهتمام كبير في المملكة، وذلك نظرا لحاجة الفلاحين للأدوات الزراعية التي تصنع أغلبها من الحديد كالمعاول، والمناجل، والفؤوس، ولحاجة العمال اليدويين أيضا إليها في النجارة، والدباغة، والحياكة[3]، وكان هناك العديد من ورش الحدادة في العاصمة نياني[4].

5 – التعدين : تعد حرفة التعدين من أهم الحرف بالمملكة، ويعزى ذلك لكون المعادن تمثل إحدى أساسيات الاقتصاد في البلاد، وتوجد بتكدا أهم المراكز التي تتم بها حرفة التعدين، باعتبارها تحتوي على أهم مناجم النحاس في المملكة[5]، ويتولى هذه الحرفة الرقيق من كلا كلا الجنسين، وتعد هاته الحرفة من أصعب الحرف على الإطلاق كون مراكزها واقعة في غرب الصحراء أين الحرارة تبلغ أشدها لذلك يحدث باستمرار تبديل دفعات العمال كل ستة أشهر[6]، وقد ذكر القلقشندي أنه بمدينة تكدا كان يصنع النحاس، ويؤخذ منه قضبانا إلى العاصمة نياني[7].

6 – الصياغة : كان الصائغون من أشهر حرفي مالي، ويذكر الدالي نقلا عن أبي الحسن الحكيم تقنية تصنيع الذهب وذلك عن طريق إذابته على النار، فيخضع للتصفية أين يتم إزالة

---

(1) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص، ص 176، 145.
(2) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 288.
(3) نعيم قداح : المرجع السابق، ص 143.
(4) نياني (ج. ت) : نفس المرجع، ص 176.
(5) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 77.
(6) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 414.
(7) القلقشندي : المصدر السابق، ص 291.

الشوائب منه، ومن ثمّ يتم إفراغه في قوالب تسمى السبائك، لتؤخذ هاته الأخيرة إلى مصانع سك العملة في بلدان الشمال الإفريقي ومصر[1].

وكان من آثار العقيدة الإسلامية أن أصبح لسكان المنطقة تقاليد إسلامية، وأدى بهم ذلك إلى تطوير حرفهم وصناعاتهم، ومنها : حرفة النسيج[2]، وكما سبق ذكره فإن المادة الأولية المعتمدة في هذه الحرفة (أي القطن) كانت موجودة منذ زمن قديم بالمنطقة[3]، إلا أن عادة العري التي كانت مستشرية في المملكة سواءً عند الذكور أو الإماء كانت تحد من ازدهار ورواج هذه الحرفة وتوسع صناعتها، إلا أنه وبمجئ الإسلام الذي أصبح عقيدة أغلبية شعوب المنطقة حث بتعاليمه على الستر وارتداء الملابس، فازدهرت بذلك حرفة النسيج وحياكة الملابس، وعرفت هاته الحرفة بشكل كبير في تمبكتو[4]، ويذكر العمري أن أن حرفة نسيج الملابس ازدهرت بالمملكة، وخاصة المنسوجات القطنية[5].

ويظهر أيضا تأثر أهل التكرور بلباس المسلمين، وذلك من خلال قول ابن سعيد في وصف لباسهم « (...) ومن خالط البيض وتخصص اِتخذ لباسه من الصوف والقطن وذلك مجلوب له (...) »[6].

كما أدخل استعمال الأصباغ إلى المملكة، والتي جلبت مرادها من الشمال الإفريقي، واستخدم حرفيو المملكة في عملية الصباغة أوراق بعض النباتات، وأضافوا لها الشب والملح لتثبيت الألوان[7]، فازدهرت بذلك صناعة الجلود ممثلة في القرب، والملابس والأحذية، والسروج، والآلات الموسيقية، ... وغيرها[8].

---

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 284.
(2) فيج. جي. دي : المرجع السابق، ص 76.
(3) أ. ج. هوبكنز : المرجع السابق، ص 94.
(4) نعيم قداح : المرجع السابق، ص 143.
(5) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 65.
(6) ابن سعيد المغربي : المصدر السابق، ص 91.
(7) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 161.
(8) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 291.

المبحث الثالث : التجارة :

المطلب الأول : أهم المراكز التجارية :

عرفت الحركة التجارية ازدهارا كبيرا ميز المملكة مما أدى إلى بروز العديد من المدن التجارية الواقعة على جانبي الصحراء الكبرى، خاصة في المناطق التي تعبرها القوافل المارة بالصحراء، وقد عدت بمثابة مراكز إستقرار للتجار الذين كان من اختصاصهم نقل، وتوزيع السلع والبضائع المختلفة، وقد كانت هذه المراكز تقع على الجانب الشمالي والجنوبي للصحراء[1]، وذلك على النحو التالي :

- المراكز التجارية على الجانب الشمالي للصحراء الكبرى :

• **غدامس :** هي مدينة ببلاد المغرب تقع بمحاذاة بلاد السودان[2]، أي تقع في الجنوب الغربي من مدينة طرابلس وتبعد عنها بحوالي ثلاثمائة كيلومتر، وقد كانت حصنا تجاريا وحربيا منذ القدم[3]، واشتهرت غدامس كمركز تجاري هام، إذ أصبحت ملتقى لطرق القوافل التجارية، وارتبطت تجاريا بمدينة تنبكت وجاو، وغيره من المدن السودانية الأخرى[4]، وقد اشتهرت غدامس بصناعة الجلود، حيث يقول فيها صاحب كتاب الاستبصار أنها : « مدينة لطيفة قديمة أزلية، وإليها ينسب الجلد الغدامسي. »[5]، وقد اشتهرت باتصالاتها المتعددة مع مملكة مالي الإسلامية، حيث أن ابن بطوطة قد سافر صحبة أحد هذه القوافل الغدامسية[6].

• **توات :** تقع في الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية[7]، حيث هي مركز إنعاش لتجار القوافل، فتقع في واحة غنية، إذ أنها تزود التجار بالغذاء والماء العذب، وتوفر الكلأ لجمالهم، وكان يتم بها تغيير الجمال

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 118.
(2) القزويني : المصدر السابق، ص 57.
(3) مارمول كاربخال : المرجع السابق، ج 3، ص 173.
(4) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص 119.
(4) الاستبصار في عجائب الأمصار : المصدر السابق، ص 145.
(6) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 230.
(7) فرج محمود فرج : **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط (لمحمد بن بابا حيده)**، إش، أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص 1.

والأدلاء، كما يتم بها أيضا عرض تجار السودان وتجار الساحل الشمالي لبضائعهم بها[1]، فهي عبارة عن مكان تتجمع فيه القوافل الآتية من بلاد السودان[2].

ونتيجة للمكانة التي احتلها عد مركزا تجاريا، وملتقا جامعا للقوافل، حيث در على أهله أرباحا كبيرة، كما اِمتزجوا من خلال رحلاتهم نحو بلاد السودان الغربي وشكلوا جاليات هناك[3]، فقد كسب إقليم توات أهمية كبيرة في جل المجالات، وخاصة في المجال الاقتصادي[4].

• **سجلماسة :** تقع في المغرب الأقصى في الجنوب الشرقي من جبال الأطلس[5]، في واحة واحة تافيللت، ويعود تاريخ تأسيسها إلى القرن 8م[6]، حيث اِشتهرت هذه المدينة بمزاولتها للزراعة نتيجة لوقوعها على ضفاف نهر[7]، كما ربطتها علاقات تجارية واسعة، وغير منقطعة مع بلاد السودان[8]، فشهدت حركة تجارية نشطة، ميزتها بأن أصبحت مركزا تجاريا، إذ أنها عدت منفذا لمعدن التبر وميناءا صحراويا تتجمع فيه بضاعتا الذهب والرقيق، حيث أن جميع القوافل التجارية القادمة من المراكز التجارية المتجهة نحو بلاد السودان، أو العائدة منها تمر بسجلماسة، وبالتالي فهي مدينة تجارية تميزت بنشاط تجاري بارز، ويعود الفضل لموقعها في ازدهارها وتقدمها المعماري، حيث اعتبرت مركزا حساسا من مراكز التجارة العالمية[9].

---

(1) الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق، ص 80.

(2) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 189.

(3) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 122.

(4) عمر بن خروف : **مقاومة الجنوب الغربي الجزائري للتدخل السعدي خلال القرن10هـ / 16م**، حولية المؤرخ، يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، العدد الأول، الجزائر، 2002م، ص 164.

(5) أمين واصف بك : **الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية**، تح، أحمد ذكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، دار المصري للطباعة، بور سعيد، الظاهر، ص 66.

(6) شوقي عبد القوي عثمان حبيب : المرجع السابق، ص 68.

(7) أنور محمود الزناتي : المرجع السابق، ص 10.

(8) أبي قاسم بن حوقل : **المسالك والممالك**، جمع الإمام أبي القاسم محمد الحوفلي البغدادي، بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1873م، ص 70.

(9) الحبيب الجنحاني : **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في سجلماسة عاصمة بني مدرار**، مجلة المؤرخ العربي، العدد الخامس، بغداد، العراق، ص – ص 144 - 145.

• **وارجلان :** تقع في صحراء المغرب الأوسط[1]، وقد وصفها الإدريسي على أنها : « مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلد غانة وبلاد ونقارة، فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم »[2]، وقد اكتسبت وارجلان وارجلان شهرة كبيرة لعلاقاتها التجارية الواسعة، فكان أهلها لهم الدور الريادي في قيادة قوافل التجارة إلى بلاد السودان[3].

وبالتالي كانت وارجلان مركزا تجاريا هاما اختص تجارها بتجارة التبر نظرا إلى الدور الكبير الذي لعبه هذا المعدن في الاقتصاد العالمي في ذلك الوقت[4].

- المراكز التجارية على الجانب الجنوبي للصحراء الكبرى:

• **ولاته :** وهي آخر مدن شنقيط (موريطانيا الحالية)، حيث يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الأول الهجري[5]، وقد كان أهلها من أصل عربي وكلهم ينتمون إلى الزوايا إذ تميزوا بالعلم بالعلم و الصلاح[6]، و قد ورد اسمها عند ابن بطوطة إيوالاتن وقال عنها : « (...) ولما وصلنا إلى مدينة إيوالاتن في غرة شهر ربيع الأول، بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة وهي أول عمالة السودان (...) ولما وصلناها جعل التجار أمتعتهم في رحبة و تكفل السودان بحفظها (...) »[7]، وقد بدأت ولاته تحتل مكانها كمركز تجاري على طريق الصحراء الجنوبي بعد سقوط إمبراطورية غانة وقيام مملكة مالي التي ضمتها إلى حدودها[8]، وبالتالي استطاعت هذه المدينة أن تحل محل المدينة التجارية أودغشت[9]، وقد وقد أشار السعدي إلى تسميتها باسم بير أو بيرو[10]، وعليه فكانت ولاته الواقعة على نهر النيجر الأعلى تمثل مركزا من أهم المراكز التجارية، حيث هي بمثابة مركز للتجار من

---

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 299.
(2) الإدريسي : المصدر السابق، ص 296.
(3) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 299.
(4) إلياس بن عمر حاج عيسى : المرجع السابق، ص 95.
(5) الخليل النحوي : **بلاد شنقيط المنارة والرباط عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987م، ص 68.
(6) أحمد بن الأمين الشنقيطي : **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط والكلام عن تلك البلاد تحديد أو تخطيطا وعاداتهم وأخلاقهم وما يتعلق بذلك**، مطبعة حارة الروم، مصر، 1339، ص 442.
(7) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 233.
(8) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص306.
(9) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 189.
(10) السعدي : المصدر السابق، ص 21.

السودان والمغاربة[1]، حيث كان سكان هذه المنطقة يقومون باستقبال القوافل التجارية بالماء، والزاد، ويعلمون التجار بمستوى أسعار البضائع، كما يقومون بدور الأدلاء للتجار، وبالتالي برزت ولاته كمركز تجاري هام، إلا أنها بدأت تفقد أهميتها بظهور تمبكتو كحاضرة تجارية وثقافية[2].

• **تمبكتو :** وهي تعتبر من أهم المراكز التجارية في مملكة مالي الإسلامية، ويرجع أصل اسم تمبكتو إلى عجوز، حيث أنه لما كانت قوافل الطوارق تقف لترتوي من بئر في الصحراء، وكان عند هذا البئر تقيم امرأة تدعى « بوكتو »، مما عرف المكان باسمها « تمبكتو »، وتعني بلغة الطوارق مكان بكتو، واستقر اسمها على هذا الحال بمرور الزمان[3] ؛ وقد أرجع تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن الخامس الهجري على أيدي طوارق طوارق مقشرن[4]، وكانت هذه المدينة تقع عند الأطراف الجنوبية من الصحراء الكبرى في في شمال مالي[5]، أي عند منحنى النيجر، ولم تكن هناك مدن كثيرة على غرارها يتحكم موقعها في التجارة الصحراوية والنهرية[6]، وبالتالي فقد برزت تمبكتو تجاريا، واشتهرت بها – إلى جانب تجارة الذهب التي لاقت رواجا كبيرا – تجارة الكتب، فقد تزايد الطلب على الكتب المخطوطة[7]، فإلى جانب شهرتها تجاريا اعتبرت مدينة إسلامية، حيث يقول فيها صاحب السعادة الأبدية : « (...) ما دنستها عبادة الأوثان ولا سجد على أديمها لغير الرحمان (...) »[8].

---

(1) توماس هودكير : **ممالك السودان الغربي**، طائفة من أساتذة الجامعات البريطانية، فجر التاريخ الإفريقي، تر، عبد الواحد الامباتي، مرا، محمد عبد العزيز إسحاق، 1962، ص 28.

(2) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص - ص 128 - 129.

(3) حامد عثمان : المرجع السابق، ص 221.

(4) السعدي : المصدر السابق، ص 20. Felix Dubois : **Timbuctoo the mysterious translated from the rench by**, diana white, with one hundred and fifty, three illustrations, New York, 1896, p 231.

(5) سيكيني مودى سيسوكو : **نزعة تومبوكتو في وحدة العالم الإفريقي**، المهرجان الإفريقي الأول، الثقافة الإفريقية، ملتقى الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 21 يوليو / أغسطس 1969م، ص 264.

(6) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 385.

(7) توماس هودكير : نفس المرجع، ص 30.

(8) أحمد بن بابير الأرواني : **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تمبكتو البهية** مخطوط، المكتبة الزيدانية، نيامي، النيجر، ص 10.

• **جاو (كوكو) :** وهي من المراكز التجارية الهامة، حيث موقعها على الضفة اليسرى لنهر النيجر، متصلة بوادي تلمسي المنحدر إليها من قلب الصحراء[1]، ويعود تاريخ تأسيس المدينة إلى أواخر القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، وكان سكانها عناصر من البربر قد أتوا من شمال إفريقيا، وقد دخل الإسلام إليها في حوالي سنة 400هـ / 1009م[2]، وقد قام ابن بطوطة بزيارتها أثناء رحلته و مكث بها حوالي شهر حيث اعتبرها مدينة كبيرة من أحسن مدن السودان وأكبرها بها خيرات كثيرة[3]، أما الحميري فقال عنها : « أنها من مدن مدن بلاد السودان وتقع على ضفة نهر الذي يخرج من ناحية الشمال، حيث يشرب أهل هذه المدينة من هذا النهر »[4].

وبالتالي كان لموقعها الإستراتيجي دور في نموها تجاريا، فموقعها على منحنى نهر النيجر مكنها من الإشراف على حركة الملاحة، والتجارة على امتداد نهر النيجر نحو بلاد الجنوب والغرب، وقد تجمعت في المدينة بضائع مختلفة[5]، فازدهرت بها تجارة النحاس المسبوك ؛ إذ يصل إليها من مناجم تكدا، وكذا الملح الذي يصلها من تغازا[6].

• **تادمكة :** تعتبر مركزا من المراكز التجارية الهامة، فكان يأتيها التجار من المشرق، والمغرب[7]، يعود هذا نتيجة للاستقرار والأمن الذي تتميز به حيث شهدت تحسنا في وضعها الاقتصادي، إذ غدت سوقا من أهم الأسواق التجارية الهامة، وهذا حتى أواخر القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي[8].

المطلب الثاني : السلع والبضائع :

لقد أدى النشاط الاقتصادي إلى انتعاش الحركة التجارية للمراكز المختلفة، حيث عرفت حركة تبادل السلع التجارية بين المنطقتين تنوعا في بضائعها، فمنها ما صدر عن

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 132.
(2) مبارك بن الصافي جعفري : **العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12هجري**، دار السبيل، الجزائر، ط 1، 1430هـ / 2009 م، ص 244.
(3) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 238.
(4) الحميري : المصدر السابق، ص 502.
(5) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 309.
(6) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص 133.
(7) شوقي عبد القوي عثمان حبيب : المرجع السابق، ص 52.
(8) أمطير سعد غيث : نفس المرجع ، ص 135.

السودان الغربي باتجاه الشمال الإفريقي ومنها ما ورد عنه[1]، هذا ما جعل التجار في حركة دؤوبة في ارتياد بلاد السودان الغربي، حيث أخذوا منه للشمال الإفريقي وفي المقابل جلبوا إليه مختلف البضائع[2]، أما الآن فسنتعرف على السلع والبضائع الصادرة والواردة من وإلى هذه المملكة :

أولا : السلع الصادرة : كان للسلع الصادرة من هذه المملكة أن لعبت دورا كبيرا في تجارة الصحراء الكبرى، حيث كان في مقدمتها الذهب والرقيق.

1 – الذهب : ولقد عد بمثابة السلعة الأولى التي شدت أنظار التجار إليها[3]، ولقد زادت أهمية الذهب على عهد مملكة مالي، ويعود هذا نتيجة للشهرة التي إكتستها على إثر زيارة منسا موسى للبقاع المقدسة، وذلك يعود للترف الذي أظهره بحيث أخذ معه الذهب الكثير، مما أدى لانخفاض قيمته في مصر[4]، ولقد عدت مملكة مالي من بين الممالك التي تمكن حكامها من السيطرة على التبر ومنها على تجارته[5].

ولقد كان كل من أهل وارجلان، والمغرب الأقصى من أكثر التجار شراءً للذهب، حيث كانوا يرسلونه لدور السكك، ويضرب دنانيرا يتم التعامل بها في التجارة[6]، ولقد أشار أشار الإدريسي إلى أن أهل المغرب الأقصى كانوا يقصدون مدينة تكرور بهدف جلب التبر والخدم[7].

ولقد عد ذهب السودان الغربي بصفة عامة، وذهب مملكة مالي بصفة خاصة مغذيا لمصر والمغرب وكذلك أوربا، حيث كان التجار الأوربيون يأخذون قدرا معتبرا من هذا الذهب[8].

---

(1) نفسه، ص 136.
(2) إبراهيم أحمد العدوي : **تاريخ العالم الإسلامي (عصر البناء والانطلاق)** ، 1425هـ - 2005 م، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، ج 1، ص 335.
(3) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص – ص 318 – 319.
(4) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ج 3، ص 73.
(5) إلياس بن عمر حاج عيسى : المرجع السابق، ص 94.
(6) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 280.
(7) الإدريسي : المصدر السابق، ص 18.
(8) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 38.

2 – الرقيق : لقد مثّل الرقيق إحدى السلع التجارية الهامة، وذلك منذ العصور القديمة، حيث كانت بلاد السودان الغربي من أهم مصادر الرقيق الذي كان يصدر للشمال الإفريقي من جهة، ومناطق حوض البحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى[1]، حيث عرفت هذه التجارة باحتلالها المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الذهب طبعا، وقد كان أثرياء المملكة يمتلكون العبيد بهدف خدمتهم في أعمالهم[2]، ويظهر ذلك جليا من خلال أن السلطان منسا سليمان كان يحيط به ثلاثين مملوكا من الترك[3]، فبالإضافة إلى تصدير السودان الغربي للرقيق السود، فإنهم كانوا يجلبون الرقيق البيض بصورة ضئيلة، وهذا يعود لارتفاع أسعارهم حيث مما يثبت جلبهم مشاهدة ابن بطوطة لجارية دمشقية عند أحد ملوك مالي[4]، كما أمدنا ابن بطوطة بأنه في تكدا، ومالي، وإيوالاتن كانوا لا يبيعون المعلمات إلا نادرا، ويكون ثمنها باهضا[5].

ولقد كان العبيد بدرجة كبيرة في بلاد السودان الغربي، هذا ما دفع بالتجار لكثرة جلبهم وبيعهم في أسواق المغرب، ومصر، وكذلك على السواحل للتجار الأوربيين وهم بدورهم يحملون عددا منهم إلى الجانب الآخر للبحر المتوسط[6].

كما كان العبيد يقومون بمهمة نقل أحمال الملح، والأقطان بالإضافة للأواني النحاسية[7]، إلا أنه وفي ظل التأثير العربي الإسلامي داخل المملكة أصبحت مسألة المتاجرة بالعبيد تعرف استنكارا من طرف بعض العلماء، والفقهاء هذا ما جعلهم يصدرون الفتاوى الدينية بعدم جواز تلك التجارة[8].

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 144.
(2) الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق، ص 89.
(3) القلقشندي : المصدر السابق، ص 300.
(4) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص 144.
(5) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 249.
(6) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 39.
(7) نياني (ج. ت) : المرجع السابق، ص 182.
(8) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص – ص 144 – 145.

3 – الجلود : ولقد عدت من بين السلع التي كان لها تاريخ تجاري قديم في منطقة السودان الغربي عموما، وقد استعملت في صناعة الأحذية، والقرب، والأكياس الحافظة للحبوب وغيرها[1].

4 – العاج : وقد كان الإقبال عليه بكثرة كون ناب الفيل الإفريقي أقل صلابة من غيره، وأكثر طواعية في النقش[2]، وقد عد من بين أهم الصادرات من بلاد السودان الغربي، حيث حيث أن بعض التجار كانت إقامتهم في والاتا بهدف جمع العاج الوارد من الممالك الإفريقية، فيقومون بتصديره إلى المغرب، ومنها إلى أوربا[3].

5 – سلع وبضائع أخرى : بالإضافة لهذه السلع فقد ساهمت مملكة مالي بتصدير سلع وبضائع أخرى مختلفة تتمثل في السياط ؛ وقد عرفت باسم السربافات وقد كان مصنعها في بلاد التكرور، بالإضافة للأبنوس، والعسل، والصمغ، والشب، وريش النعام[4]، كما صدرت صدرت لمصر قرن الخرنيت المستعمل في تطعيم بعض الصناعات، بالإضافة للقرفة المستعملة في صناعة بعض العقاقير الطبية[5]، كما كانت تصدر بذرة القطن والفول السوداني، وقد كان إنتاجهم له بكثرة، كما أستخدم في المبادلة بشراء الملح، بالإضافة للكولا ؛ وقد عدت من أهم البضائع الصادرة، حيث تصدر للشمال الإفريقي وما بعد شواطئ البحر المتوسط كذلك[6]، والتوابل ؛ التي كانت تستخدم منها العقاقير الطبية، وقد كان بيض النعام من البضائع الهامة في تركيب الأدوية، كما كان يوضع فوق المناضد، ويعلق فوق حيطان القاعات بقصد الزينة[7]، بالإضافة لتصديرها لقط الزباد ؛ وهو حيوان بري يصدر بشكل كبير، وهذا لكونه ينتج عن ضربه إفراز المسك[8].

---

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 322.

(2) نياني (ج. ت) : **العلاقات بين مختلف المناطق، المبادلات بين المناطق**، تاريخ إفريقيا العام، اليونيسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988، مج 4 (إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)، ص 619.

(3) الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق، ص 89.

(4) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 323.

(5) شوقي عبد القوي عثمان حبيب : المرجع السابق، ص، ص 101، 107.

(6) الشيخ الأمين عوض الله : نفس المرجع، ص 89.

(7) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق،ص 439.

(8) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 297.

ثانيا : السلع الواردة :

ولقد جلب إلى هذه المملكة خصوصا، وبلاد السودان الغربي عموما العديد من البضائع والسلع من مختلف المناطق، سواءً من حوض البحر المتوسط، أو من دواخل الصحراء، وكان في مقدمتها :

1 – الملح : وقد سمي بالذهب الأبيض[1]، حيث عد سلعة بالغة الأهمية في تجارة الصحراء، ويرجع استراده لكونه غير متوفر بالكمية اللازمة لسد حاجيات السكان منه[2]، وقد كانوا يستعملونه في تمليح الأسماك بمختلف أنواعها[3]، وقد ساهمت مدينة شنقيط بشكل بشكل كبير في تصدير الملح لبلاد السودان[4]، بالإضافة لجلب الملح من تغازا[5]، - وقد أشار ابن بطوطة لأهمية الملح من خلال ارتفاع أسعاره - ، فقد وصل سعره في إيوالاتن بين ثمانية وعشرة مثاقيل، أما في مدينة مالي فقدر بثلاثين مثقالا إلى عشرين، ومن الممكن وصوله إلى أربعين مثقالا[6].

ولقد مثلت جزيرة أوليل الواقعة على المحيط الأطلسي مصدرا هاما لتزويد السودان الغربي بالملح، وهذا لوقوعها في آخر غرب السودان، حيث كان من الصعوبة بمكان وصول ملحها إلى أطراف السودان النائية، أما فيما يخص تغازا فقد كان الملح يؤخذ منها باتجاه السودان الغربي، ويقول القزويني في ذلك : « والملح بأرض السودان عزيز جدا، والتجار يجلبونه من تغازه إلى سائر بلادهم »، بالإضافة لوجوده في بعض المناطق الأخرى[7]، وقد قدر الحسن الوزان ثمن الملح بثمانين مثقالا[8].

---

(1) gohno.lgue : op, cit, p 41.

(2) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 324.

(3) إلياس بن عمر حاج عيسى : المرجع السابق، ص 93.

(4) أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق، ص 493.

(5) Jean suret canale : **histoire africaine de la traite des noirs au neocolonialisme**, édition sociales, 1980, p 42.

(6) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 231.

(7) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص – ص 327 – 328.

(8) الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 166.

كما شكل الملح نوعا من مداخيل المملكة، وذلك من خلال الرسوم المفروضة عليه[1]، وبالتالي فقد احتل الملح السلعة التجارية الأولى المستهلكة داخل السودان الغربي ومملكته في الجنوب[2].

2 – النحاس : ولقد عملت مدينة تكدا على تصديره لمختلف مناطق السودان الغربي، وقد أستعمل كعملة أو كأداة للزينة[3]، وكان يباع وزن مثقال بثلثي وزنه من الذهب ؛ أي أن كل كل مائة مثقال من النحاس بـ 66 مثقال وثلثي مثقال من الذهب[4]، وقد أشار ابن بطوطة في في استعمال النحاس كعملة مستخدمة في البيع والشراء فقال : «... فإذا سكبوه نحاسا أحمر صنعوا منه قضبانا في طول شبر ونصف وبعضها رقاق وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربعمائة قضيب بمثقال ذهب، وتباع الرقاق بحساب ستمائة بمثقال، وهي صرفهم، يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بأغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح »[5]، كما يصنعون منه الأساور، والأقراط للزينة، بالإضافة للأواني المنزلية، ولوازم الخيل، وحلق الأبواب كلها كانت بضائع يستوردونها[6].

3 – الأقمشة والمنسوجات : لقد اتضح شغف أهل المملكة باستيراد المنتوجات القطنية، والصوفية، والحريرية من تجار المغرب الأقصى، حيث يجلبونها لمنطقة تكرور، حيث كانت الأقمشة القطنية آتية من أوربا[7]، وقد وصف البكري لباس أهل تادمكة بقوله : « (...) ويلبسون الثياب المصبغة بالحمرة من القطن »[8]، كما يصف ابن بطوطة ملابس أهل ولاته بأنها مستوردة من مصر في قوله : « (...) وثياب أهلها حسان مصرية »[9]، كما كانت المنسوجات الحريرية ترد للأسواق المغربية عن طريق التجار الأوربيين،

---

(1) نياني (ج. ت) : العلاقات بين مختلف المناطق، المبادلات بين المناطق، المرجع السابق، ص 617.
(2) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 138.
(3) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 332.
(4) القلقشندي : المصدر السابق، ص 291.
(5) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 250.
(6) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 33.
(7) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 334.
(8) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص 139.
(9) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص 233.

ليحملها بعد ذلك التجار المغاربة والمصريون نحو الأسواق السودانية[1]، كما كان أهل تكدا تكدا يجلبون من مصر أزهى الثياب وأبهاها، بالإضافة للمنسوجات المختلفة، كما استوردت الطبقة الحاكمة التاكات ؛ وهي عبارة عن قماش أزرق اللون يستخدمه النساء، وكان يباع بقطع صغيرة[2]، كما كانت الأقمشة متنوعة إفريقية وأوربية، بيضاء وملونة، صوفية وقطنية، حريرية وكتانية[3].

4 – الكتب : ولقد كان الطلب عليها كبيرا من طرف طلبة السودان الغربي عموما[4]، حيث حيث كانت تشكل صنفا من أصناف البضائع الواردة على المملكة، وعرفت أثمانها غلاءً كبيرا كما كانت تجارة المخطوطات من السلع المهمة أيضا، وهذا يعكس قيمة الكتب، والمكانة العلمية الرفيعة التي اتصف بها حكام وعلماء المملكة[5]، وقد كانت الكتب ترد من المغرب، ومصر، والمشرق العربي[6]، وكان سبب رواجها هو الإقبال الكبير عليها تأثرا بانتشار الثقافة والعلوم العربية الإسلامية[7]، حيث كان يوجد مخطوطات ترد من الشمال الإفريقي، حيث تعود بأرباح كبيرة على المنطقة تفوق البضائع الأخرى.

5 – سلع وبضائع أخرى : وقد وصلت للمملكة عدة بضائع وسلع مختلفة منها القمح، فبالإضافة لزراعته داخل السودان الغربي إلا أنه لا يلبي حاجيات السكان حيث لجؤوا لاستيراده[8]، كما كان التمر من بين السلع الواردة عليها خاصة لجني حيث مورده كان من الشمال الإفريقي خاصة من وارجلان، وسجلماسة، وغدامس، وإيوالاتن[9]، بالإضافة

---

(1) عبد القادر زبادية : الحضارة الأوربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 35.

(2) شوقي عبد القوي عثمان حبيب : المرجع السابق، ص 110.

(3) مبروك مقدم : المرجع السابق، ص 208.

(4) الحاج محمد بن رمضان شاوش : **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 339.

(5) الهادي مبروك الدالي : المرجع السابق، ص – ص 329 – 330.

(6) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 140.

(7) يحيى بوعزيز : **طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر**، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، بغداد، 1404هـ / 1984م، ص 135.

(8) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص 141.

(9) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 331.

للفواكه الرطبة حيث كانت تجلب من سجلماسة، وبلاد الزاب بالإضافة لما يجلبه تجار وارجلان[1].

كما شكلت المصنوعات الحديدية والجلدية سلعة هامة مستوردة ؛ فمن المصنوعات الجلدية الدروق، وأما الحديدية فتتمثل في السيوف، والمناجل، وحلق الأبواب، حيث كان يجلبها التجار المغاربة[2]، والقدور والسكاكين، والأواني المنزلية.

وكذلك المواد الزجاجية كالمصابيح الزيتية، والمقتطفات المرجانية، والمرايا، والأمشاط، حيث كانت هذه السلعة تأتي من برشلونة، وميلان، والبندقية، بالإضافة للروائح العطرية، والأدوية العشبية، والبهارات، ومواد الصباغة، والعطور، والسكر، والشاي[3]، بالإضافة للخضر الجافة، وزيت الزيتون، والشحوم، والزبدة، والأغنام وصوفها[4]، وكذلك أدوات الزينة ؛ كالخرز، والأساور، والخواتم، والودع، والفخار[5].

بالإضافة للخيول خاصة الأصيلة منها حيث كانوا يستوردونها من الشمال الإفريقي عموما، ومن المغرب الأقصى خصوصا[6].

ولقد كان لهذا التبادل التجاري للسلع والبضائع المختلفة عدة نتائج منها :

- أنه يعمل على تنشيط التجارة داخليا.
- يساهم في رفع مداخيل المملكة بواسطة الضرائب المفروضة.
- يساهم في توفير مناصب عمل
- ترقية الذوق في الاستهلاك والاستعمال[7].

---

(1) إلياس بن عمر حاج عيسى : المرجع السابق، ص 91.
(2) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص – ص 331 - 332.
(3) إلياس بن عمر حاج عيسى : المرجع السابق، ص 92 .
(4) يحي بوعزيز : طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 135.
(5) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 141.
(6) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 333.
(7) عبد القادر زبادية : ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري، مجلة الأصالة، العدد 41، دائرة التاريخ، جامعة الجزائر، 1977م، ص 145.

ولقد كان لهذا التبادل أيضا انعكاسات تمثلت في التواصل الحضاري، والتفاعل بين المناطق بحيث أن التاجر يحمل عاداته مع تجارته للمنطقة المقصودة[1]، كما انعكست تجارة الذهب خصوصا على إنشاء موانئ بالشمال الإفريقي، كما ساهمت في ثراء المملكة[2]، وكذا ثراء مناطق الشمال الإفريقي حيث أصبح المثل المتداول : « إن السودان يشفي الناس من الفقر كما يشفي القطران الإبل من الجرب »[3] .

المطلب الثالث : أهم الطرق التجارية :

شهدت مملكة مالي الإسلامية ازدهارا اقتصاديا كبيرا أين تحكمت في عهد منسا موسى في عماد اقتصادها، فسيطرت على مناجم الذهب في ونقارة، ومناجم الملح في تغازى، ومناجم النحاس في تكدا، وكذا في الطريق الرابط بينهم[4]، ومن جهة أخرى عرفت عرفت علاقاتها التجارية توسعا ملحوظا، خاصة مع دول الشمال الإفريقي، وبدرجة أقل مصر، أين ربطت بين هذه الدول ومملكة مالي شبكة من الطرق التجارية[5].

ولم تبين المصادر والروايات التاريخية شبكة الطرق التي تربط مالي مع نظيراتها من دول الشمال الإفريقي، ومصر بالتحديد إنما عممتها إلى كل إفريقيا جنوب الصحراء، أو السودان الغربي على العموم.

وعلى كل فقد كانت القوافل التجارية القادمة من وإلى مالي تسلك دائما الاتجاه من الشمال إلى الجنوب والعكس، إلا الطريق الشرقي الذي يربط مصر بمالي فكان اتجاهه من الشرق إلى الغرب أو العكس[6].

---

(1) محمد بن عمرو الطمار : تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص 205.

(2) أ. ج. هوبكنز : المرجع السابق ، ص 164.

(3) الحاج محمد بن رمضان شاوش : المرجع السابق، ص 339.

(4) مخزوم الفيتوري : المرجع السابق، ص 278. قمر الدين محمد فضل الله : **لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الإسلامية**، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد 4، طرابلس، 1397 – 1987، ص 215.

(4) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 114.

(5) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 114.

(6) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 29.

ومن أهم الطرق التجارية التي تربط دول شمال إفريقيا ومصر بمملكة مالي نذكر: (ينظر الملحق رقم 06).

1 – الطريق الذي يربط مصر بمالي : ويمتد من الواحات المصرية (سيوه، الداخلة، الخارجة، الكفرة)، ومنها إلى فزان وصولا إلى مالي، وقد كان هذا الطريق أول طريق سلكه العرب إلى السودان الغربي عن طريق الصحراء الشرقية، إلا أنه عدل عنه قبل القرن 4هـ / 10م لأسباب طبيعية وأمنية، وعُوض بطريق يمر بسجلماسة، إلا أنه أعيد العمل به ثانية في عهد مملكة مالي في القرن 8هـ / 14م[1] وهو ما يؤكده العمري من أن الطريق المسلوك من مصر إلى مملكة مالي يكون عن طريق غربي مصر على الواحات[2].

2 – الطريق الشرقي الذي يربط مصر بمملكة مالي : ويمتد من جنوب مصر عند أسوان إلى مالي[3].

3 – الطريق الذي ينطلق من غدامس : التي تصلها السلع من المدن الليبية الساحلية على غرار بنغازي وطرابلس، ومنها نحو الجنوب إلى مرتفعات غات، ومنها إلى واحة فزان، ثم إلى مرتفعات أهير، وصولا إلى تمبكتو[4].

4 – الطريق الأوسط : الذي ينطلق من واحة الجريد بالجنوب التونسي، مرورا بتوات، ووصولا إلى تمبكتو[5].

5 – الطريق الذي يمتد من وارجلان كنقطة بداية تخدم بعض الموانئ الجزائرية، وكذا طرابلس، ونفوسة مرورا بصحراء الجزائر، والهقار، ومنها يتفرع إما إلى تادمكة ومنها إلى كوكو، ومنها من تأخذ طريقها إلى تمبكتو[6].

6 – الطريق الممتد من تلمسان بالمغرب الأوسط ؛ مرورا بتوات وإنتهاءً عند تمبكتو[7].

---

(1) فاطمة بلهواري : المرجع السابق، ص 31.
(2) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 74.
(3) شوقي عبد القوي عثمان حبيب : المرجع السابق، ص 67.
(4) فيصل محمد موسى : المرجع السابق، ص 51.
(5) سيكيني مودى سيسوكو : المرجع السابق، ص 265.
(6) إلياس بن عمر حاج عيسى : المرجع السابق، ص، ص 81، 95.
(7) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 116.

7 – الطريق الغربي الذي يربط المغرب الأقصى بمملكة مالي ؛ وهو الطريق الذي سلكه ابن بطوطة في زيارته لمملكة مالي، ويمتد هذا الطريق من مراكش مرورا بسجلماسة، وتغازى ومنها إلى إيوالاتن ؛ وهي أول عمالة بمالي، ووصولا إلى العاصمة نياني[1]، وقد اشتهر الطريق الممتد من تغازى إلى تمبكتو بتجارة الذهب[2].

إلا أنه بعد تهديم سجلماسة في بداية القرن 15م، ترك العمل بالطريق الممتد من السوس إلى ولاته، وذلك بسبب إغارات الأعراب من البادية السوسية، وأستبدل بطريق يمر على تمنطيت (توات)[3].

والجدير بالذكر أن هذه الطرق تتغير عبر مختلف الحقب التاريخية، فليس هناك طريق حقق هيمنة دائمة، حيث انجرفت المسالك التجارية بالتدريج من الغرب إلى الشرق، ففي عهد مملكة غانا كان طريق أودغشت هو الأهم إلى حدود القرن 13م، بينما سيطر الطريقين الممتدين من تمبكتو طيلة عهدي مالي وسنغاي، لتستلما طريقي كانو، وبرنو السيطرة على القوافل التجارية إلى حدود القرن17م وما بعده[4].

وعلى كل فقد كانت القوافل التجارية تجهز من كبرى المراكز الشمالية كطرابلس، والقيروان، وتلمسان، وفاس، وكان التجار يسيرون في قوافل ضخمة محملة بمختلف البضائع والسلع، أين تمر على المراكز التجارية الواقعة على ضفتي الصحراء، وتنطلق من هناك بعد تنظيم محكم[5].

أما عن وسائل نقل هذه القوافل فكانت الجمال التي أحدثت منذ استقدامها إلى الصحراء ثورة في مجال النقل، وأثرت بدورها على رواج الحركة التجارية بالمملكة[6]، وقد بلغ عدد الجمال في القوافل التي كانت تنطلق من الهقار على أيام ابن خلدون اثني عشر ألف جمل، وهو ما يدل على رواج وازدهار البضائع المستعملة في عملية التبادل[7]، وكانت

---

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص – ص 230 – 233.
(2) قمر الدين محمد فضل الله : المرجع السابق، ص 212.
(3) الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق، ص – ص 76 – 77.
(4) أ.ج. هوبكنز : المرجع السابق، ص، ص 166، 168. قمر الدين محمد فضل الله : المرجع السابق، ص – ص 212 – 213.
(5) مبروك مقدم : المرجع السابق، ص 232.
(6) ك. مادهو بانيكار : المرجع السابق، ص 378.
(7) باسيل دافيدسون : المرجع السابق، ص 47.

وكانت هاته الجمال بعضها تستعمل لحمل البضائع والسلع، والبعض الآخر تحمل أوعية المياه، وكان يرافق القافلة حراس مهمتهم حراسة القافلة وتوفير الأمن لها[1]، بالإضافة للأدلاء الذين يسميهم ابن بطوطة « التكشيف » الذين يكونون في أغلب الأحيان من مسوفة الملثمين من ذوي الخبرة في معرفة المسالك الصحراوية، حيث يجدون طريقهم إليها بقدرة تفوق باقي البشر، حيث يذكر ابن بطوطة في هذا الصدد : « (...) ورأيت من العجائب أن الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق »، ويقوم هؤلاء الأدلاء بإيصال خبر قدوم القوافل إلى إيوالاتن، أين يستعد التجار ويتوافدون من مختلف المناطق لاستقبالهم[2]، لتتم بذلك حركة المبادلات التجارية بين تجار المغرب وتجار مالي.

وتعتبر بعض الكتابات التاريخية خطأ أن الصحراء الكبرى شكلت حاجزا طبيعيا بين بلاد المغرب وبلاد السودان، وذلك لصعوبة مسالكها[3]، وبالفعل فلم تخلو المسالك الصحراوية من مخاطر كانت تتعرض لها الرحلات القافلية، التي كانت تواجه خلال رحلاتها لعدد من المصاعب والمشاكل سواءً أكانت طبيعية أو أمنية ومنها :

1 – الظروف الطبيعية :

تعتبر الظروف الطبيعية عاملا أساسيا له دوره في التأثير على تجارة الصحراء، أين تمثل قوة قاهرة، يصعب التغلب عليها أو أخذ الاحتياطات منها[4]، ومن بين الصعوبات الطبيعية التي تواجه القوافل التجارية في رحلاتها نجد :

أ – التيه في الصحراء : نتيجة للطبيعة الرملية للصحراء، وعدم وجود طريق واضح يسلك بها، فعادة ما يتسبب ذلك في تيهان القافلة بكلها وإكليلها، وقد يحصل ذلك أيضا لعدم وجود رجال التكشيف، أو هروبا من قطاع الطرق، أو بفعل الزوابع الرملية[5]، ويذكر ابن بطوطة

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 76.
(2) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 232.
(3) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 182.
(4) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 318.
(5) إلياس بن عمر حاج عيسى : المرجع السابق، ص 86.

بطوطة أيضا أن أحدا من رفاقه في القافلة ضل الركب نتيجة لتأخره عن الرفقة ولم يسمع بعدها عنه شيء[1].

ب – ندرة المياه في الصحراء : وهو من أهم المشاكل التي كانت تعرقل سير القوافل التجارية، نتيجة للعواصف الرملية التي تعمل على جفاف كميات المياه التي تحتوي عليها القوافل، ويذكر الحسن الوزان أن كميات الماء التي كانت تحملها أوعية القوافل عادة ما تنفذ في الصحراء، وهو ما جعل التجار يضطرون في الكثير من الأحيان إلى بقر بطون جمالهم، واستخراج المياه من جوفها، ليشربوا ويحتفظوا بالباقي إلى أن يعثروا على مصدر آخر للماء، وإلا يضطرون إلى مواجهة الموت[2]، وهي نفس الرواية التي أفاد بها من قبله القزويني[3].

2 – المشاكل الأمنية : وتتمثل أساسا في نقطتين :

أ – هجومات اللصوص، وقطاع الطرق من القبائل البدوية على القوافل التجارية.

ب – اعتراض الحيوانات المتوحشة لطرق القوافل[4].

إلا أنه وعلى الرغم من أن الكثير كان ينظر إلى الصحراء على أنها حاجز طبيعي، إلا أنها لم تكن كذلك، ولم تمنع من التنقل بين شمال القارة وجنوبها[5] فمنابع المياه كانت موجودة في أماكن متناثرة من الصحراء، وإن تنوعت أشكالها بين العذوبة والملوحة، والقرب أو البعد عن سطح الأرض[6]، وهو ما يؤكده محل الشاهد ابن بطوطة بقوله : « (...) ومنها (أي تغازى) يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشر لا ماء فيها إلا في النادر ووجدنا بها نحن ماء كثيرا في غدران أبقاها المطر وقد وجدنا في بعض الأيام غديرا بين تلين من حجارة ماؤه عذب فتروينا منه وغسلنا ثيابنا »[7].

---

(1) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 231.
(2) الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 76.
(3) القزويني : المصدر السابق، ص 19.
(4) يحيى بوعزيز : طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى، كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص 132.
(5) فيصل محمد موسى : المرجع السابق، ص 48.
(6) نبيلة حسن محمد : في تاريخ الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص 190.
(7) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص 231.

وبالرغم من وعورة المسالك الصحراوية إلا أن التجارة التي كانت تتم عن طريق الصحراء الكبرى، كانت تدر أرباحا طائلة على التجار المغاربة الذين كانوا من أرفه الناس، وهو ما جعلهم يولعون باجتياز الصحراء لممارسة تجارتهم[1].

فقد كانت الروابط بين بلاد المغرب وبلاد السودان على أساس تجاري في الأول عن طريق تجارة القوافل المارة عبر الصحراء الكبرى، والتي كانت صاحبة الفضل الأول والأكبر في دخول الإسلام إلى كل إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، وذلك من خلال احتكاك التجار المسلمين بالسكان المحليين [2]، وعلى عكس ما قيل في الصحراء من أنها كانت تمثل حاجزا طبيعيا من شأنه أن يحول دون تحقيق أي اتصال أو تواصل حضاري بين شمال القارة وجنوبها[3]، فقد كانت بمثابة الجسر الذي عبرت من خلاله التأثيرات الحضارية إلى قلب القارة الإفريقية، وظهر ذلك جليا من خلال اعتناق أغلبية شعوب المنطقة للإسلام، بالإضافة إلى انتشار اللغة العربية التي أصبحت لغة الإدارة، والعلم، والثقافة بالمملكة[4].

هذا وتعد الصحراء البوابة الكبرى التي توغل من خلالها الإسلام إلى قلب القارة عن طريق القوافل التجارية المارة بها، وفي هذا يقول سيكيني مودى سيسوكو : « إن الإسلام قد توغل إلى الغرب الإفريقي عن طريق القوافل الإسلامية التي كانت تحمل إليه البضائع »[5].

المطلب الرابع : نظم التبادل التجاري :

نظرا لقلة العملات وضعف استعمالها وانتشارها اتبع التجار المقايضة كوسيلة للتعامل الواسع بين التجار العرب الوافدين ومواطني السودان الغربي[6].

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 162.
(2) السيد حسن جلال : المرجع السابق، ص 458.
(3) عبد القادر زبادية : ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري، المرجع السابق، ص 141.
(4) جمال زكريا قاسم : **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1416هـ - 1996م، ص 155. André Miquel : Op. cit , p 234.
(5) سيكيني مودى سيسوكو : المرجع السابق، ص 265.
(6) مبروك مقدم : المرجع السابق، ص 219.

1 – المقايضة : وهي عبارة عن اتفاق يتم بين الطرفين فيما يعرضونه من سلع، حيث كانت سلعة الذهب تعرض من طرف التاجر السوداني، بالإضافة لبعض السلع الأخرى كالريش، والتوابل، وفي المقابل يعرض التجار الوافدون الملح بالإضافة للمنسوجات، وأدوات الزينة[1]، وقد كان الطرفان يضعان بضائعهم، ويختفون عن الأنظار وتسمى هذه الطريقة بالتجارة الصامتة ؛ حيث يقبل التجار القادمون من المغرب بوضع الملح، والبضائع الأخرى ويختفون وبعدها يقبل تجار المملكة لوضع الذهب كثمن له ويختفون كذلك، فيقبلوا المغاربة لرؤية كمية الذهب كافية أم لا، فإن كانت كافية أخذوا الذهب وأبقوا لهم على الملح وغيره من السلع الأخرى، وإن لم يعجبهم الثمن تركوا الذهب والملح واختفوا مرة ثانية، ويظل الأمر هكذا حتى يدفع تجار المملكة الثمن المناسب[2]، حيث كانت المقايضة تتم بالذهب، والملح فيشير القلقشندي أنهم كانوا يبادلون مكان كل صبرة من الملح مثله ذهبا[3].

كما أن المقايضة لم تكن مقتصرة على سلعتي الملح والذهب فقط، بل إن ابن بطوطة ذكر أنه وأثناء رحلته بالمنطقة كان يحمل معه قطع الملح، وحلي الزجاج، وبعضا من السلع العطرية، وهذا حتى يستبدل بها اللبن، والدجاج، والدقيق[4]، كما كان أهل ملي يتعاملون بالذرة والقمح[5].

2 – العملات : وذلك بعد التأثيرات العربية الإسلامية والتطور الذي شهدته الحياة الاقتصادية بدأ نظام المقايضة يتلاشى، وحل محله العمل بنظام العملات.

أ - النقود الذهبية : لقد كانت هذه العملة متداولة حيث استعملها أهل تادمكة في معاملاتهم فيقول صاحب الاستبصار : «... ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها من ذهب محض غير مختومة »[6]، كما تمكن أهل مالي من ضرب عملة تكون ذهبية، نقدية، محلية، حيث وصل وصل وزنها لما بين 4 – 6 غرام من الذهب[7]، حيث كانت النقود في مملكة عبارة عن

---

(1) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 399. أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 145.
(2) محمد عيسى الحريري : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ / 1213م) (869هـ / 1465م)، المرجع السابق، ص 225.
(3) القلقشندي : المصدر السابق، ص 291.
(4) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 247.
(5) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 339.
(6) الاستبصار في عجائب الأمصار : المصدر السابق، ص 223.
(7) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 78.

قطع صغيرة من الذهب الخالص الناعم[1]، وقد كان الدينار يزن مثقالا واحدا مثلما كان سائدا في الوطن العربي، والعالم الإسلامي[2]، وقد أشار إلى ذلك ابن بطوطة أن سعر الخيل، والملح كان يقدر بالمثقال في مالي « (...) وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا إلى عشرين وربما انتهى إلى أربعين مثقالا (...) »[3]، كما كانت عملة أهل أودغشت هي من التبر الخالص[4]، كما أن الحسن الوزان أشار لاستعمالهم للعملة الذهبية، حيث كانت العملة الرائجة هي الذهب غير المسكوك، بالإضافة إلى أن أهل تمبكتو استعملوا القطع الذهبية الخالصة عوضا عن العملة المسكوكة.

كما كانت العملات العربية متداولة كالعملات المغربية، والمصرية وهذا يعود لكثرة التبادل التجاري بينهما حيث عثر على بعض العملات العربية في جاو[5].

ب – النقود الفضية والنحاسية : ويظهر التعامل بالفضة فيما ذكره ابن بطوطة « (...) كما يتصارف بالذهب والفضة (...) »، إلا أنه لم يفصل في شرحها.

أما فيما يخص اتخاذ النحاس كعملة، وهذا على حسب ما رواه ابن بطوطة من أن استخراجه يتم من تكدا حيث يصنعون منه قضبانا في طول شبر ونصف غليظة ورقيقة، فالغليظة يشترون بها العبيد، والخدم، والذرة، والسمن، والقمح، والرقيقة يشترون بها اللحم، والحطب[6].

كما كانت العملات الحديدية متداولة بالمنطقة، حيث كانت في جني تتداول القطع الحديدية، وذلك بهدف شراء أشياء تافهة تتمثل في اللبن، والخبز، والعسل، وكان وزن هذه القطع رطل أو نصف رطل أو ربعه[7].

---

(1) مارمول كاربخال : المرجع السابق، ج 3، ص 203.
(2) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 147.
(3) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 231.
(4) الحبيب الجنحانى : المرجع السابق، ص 147.
(5) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 342.
(6) ابن بطوطة : نفس المصدر، ص، ص 231، 250.
(7) الحسن الوزان : المصدر السابق، ص 163.

ج – الودع : وهي عبارة عن فصيلة من أصداف البحار التي تكون مناطقها حارة ويعيش بداخلها القواقع المائية كما تسمى بالكورى[1]، وقد استعملت الودع كعملة للمعاملة في بلاد التكرور، حيث كان التجار يجلبونها بكثرة فقد كانت فائدتهم منها معتبرة[2]، ولقد كانت قيمتها تختلف من وقت لآخر حيث تعادل ما يقارب 0,35 فرنكا، حيث عمل التجار المغاربة والمصريين على جلبها[3]، فأقدم أهل مالي على التعامل بها بحيث شكلت لهم مصدرا كبيرا للربح[4]، وفي ذلك يقول ابن بطوطة : « (...) وتعامل أهلها في البيع والشراء بالودع وكذلك أهل مالي »[5].

د – المنسوجات القطنية : لقد عرفت المنسوجات القطنية قوة التعامل بها حيث أطلق عليها أهل التكرور الشكيات[6]، حيث يقول عنها صاحب الاستبصار « (...) وأزر لطاف من قطن يسمونها الشكيات »[7]، كما كانت المنسوجات أو الأثواب تعتبر كنقد لشراء بعض الحاجيات، فابن بطوطة حينما قصد السفر إلى توات قال أن اللحم، واللبن، والسمن كان يشترى بالأثواب[8].

3 - المقاييس والمكاييل والموازين : لقد كان من الواجب في التبادل التجاري توفر مقاييس، ومكاييل، وأوزان، وهذا حتى يتم التبادل بطريقة سليمة، وقد انتقلت لهم هذه الموازين المختلفة عن طريق التجار وهي كالتالي[9] :

1 / معيار القياس : لقد وردت هذه المقاييس في المصادر العربية لكن دون تحديد لمقاديرها حيث يذكر أمطير نقلا عن مونى، هذا الأخير الذي قام ببحثها والإشارة لها كالتالي[10] :

---

(1) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 150. (الهامش).
(2) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المصدر السابق، ج 4، ص 292.
(3) حسين جاجوا : **دور غدامس التجاري ما بين طرابلس والسودان الأوسط والغربي خلال 1850 – 1881** أطروحة لنيل، دبلوم الدراسات المعمقة، إش، عبد القادر زبادية، جامعة الجزائر، 1401هـ / 1981م، ص 118.
(4) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق، ص 108.
(5) ابن بطوطة : المصدر السابق، ص 248.
(6) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 342.
(7) الاستبصار في عجائب الأمصار : المصدر السابق، ص 217.
(8) أمطير سعد غيث : نفس المرجع، ص 151.
(9) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 336.
(10) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 151.

أ – الشبر : وهو يساوي الامتداد بين الخنصر والإبهام، وذلك في حالة بسط الكف حيث قدر بحوالي 21,5 سم[1]، وقد أسْتعمل لطول الأرض والأقمشة.

ب – الذراع : وهو يشكل الامتداد الموجود بين عقد المرفق ونهاية الوسطى حيث يصل لنحو 50 سم[2]، وقد أستخدم كل من الشبر والذراع في قياس الأقمشة، والحيطان، والحقول[3].

ج – الميل : وقد أستعمل في قياس المسافات بصورة خاصة وقدر بـ 1920 مترا.

د – الفرسخ : وهو مساو لثلاثة أميال وكان يستعمل في قياس المسافات الطويلة.

هـ – البريد : وكان استعماله بصورة قليلة وهو يساوي سير ساعة بحصان سريع[4].

كما استخدموا القدم، والخطوة، والقامة، والحبل خاصة في قياس المساحة والأقمشة، أما الرمح فكان لقياس طول ماء النهر.

كما كان لقياس الأغنام والحيتان معيار تمثل في الدوسة كمعيار لقياس الأغنام، حيث تقدر الداوس الواحدة ب 20 رأسا من الغنم، في حين تستعمل الحزمة لقياس وزن السمك المجفف[5].

2 / وحدة الكيل : سنذكر المكاييل التي تستخدم وهي :

أ – المد : حيث سعته تساوي أربعة ألواح بجمع اليدين، وقد قدر بما يعادل بالتقريب 0,75 سل[6].

ب - الصاع : وهو يساوي أربعة أضعاف المد أي ؛ ما يعادل ثلاث لترات بالتقريب.

ج – القنطار : ويقدر بنحو مائة رطل.

---

(1) الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق، ص 92.
(2) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 338.
(3) الشيخ الأمين عوض الله : نفس المرجع، ص 92.
(4) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 53.
(5) الهادي المبروك الدالي : المرجع السابق، ص 338.
(6) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 152.

د – المودى : وهو يساوي ما يحمله العبد أو الرجل من حبوب أو غيرها في كيس من الجلد[1].

كما كانت تستعمل المرصة التي تساوي أربعة صيعان، أما الملح فكان وزنه يتم باللمكية، والتمر بالحمل، في حين تستعمل القبضة، والفته لتقدير الزرع قبل عملية الحصاد[2].

3 / وحدة الوزن : أما فيما يتعلق بالأوزان فقد كان من أهمها :

أ – المثقال : وهو مساو لوزن 72 من حبات القمح متوسط الحجم بحيث يقدر وزن المثقال بحوالي أربع غرامات[3] ذهبا، ويقابل المثقال الذهبي الواحد ثلاثة ألف ودعة[4]، وكذلك المثقال يساوي أربعين درهما.

ب – الدرهم : وهو مساو لأربعة أعشار الدينار.

ج – الدينار : حيث يساوي 40 درهما وهو يعادل ست أوقيات من الذهب.

د – الوقية : بحيث قدرت بأنها تساوي حوالي 28,5 غراما بالتقريب.

وقد تجلى التأثير العربي الإسلامي من خلال انتقال اللغة العربية التي أضحت لغة التعامل داخل الأسواق هذا ما جعل أسماء الأوزان، والمقاييس، والمكاييل تنتقل للغات المحلية[5].

4 - الوكالات التجارية : ونتيجة لتطور وازدهار الصلات التجارية بين دول الشمال الإفريقي والسودان الغربي ممثلا بمملكة مالي الإسلامية خلال القرنين 13 و14م تأسست شركات تجارية[6]، أو ما يسمى بالوكالة التجارية كنوع جديد من أنواع المعاملات التجارية، ومن أشهر هذه الوكالات أو الشركات نجد شركة المقري التي أسسها أجداد أحمد المقري صاحب كتاب « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب »، مع أربعة من إخوته

(1) عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 54.
(2) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 337.
(3) الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق، ص 93.
(4) الهادي المبروك الدالي : نفس المرجع، ص 337.
(5) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 153.
(6) عمار هلال : المرجع السابق، ص 71.

في أواسط القرن 7هـ / 13 م[1]، وقد تحدث المقري عن الإجراءات التي اتخذها أجداده لتأمين سبل التجارة بقوله : « (...) فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجارة، واتخذوا طبلا للرحيل، وراية تقدم عند المسير (...) »[2].

وكان لهذه الشركة ثلاث فروع رئيسية في كل من تلمسان، وسجلماسة، وإيوالاتن، فكان يقيم اثنين من الإخوة في تلمسان وهما أبو بكر ومحمد، وعبد الواحد وعلي يقيمان بإيوالاتن، أما الأخ الأكبر عبد الرحمان فيقيم بسجلماسة، وكانت المبادلات التجارية تتم بين التلمسانيين اللذين يقومان بإرسال السلع الشمالية إلى شركائهما بإيوالاتن اللذين بدورهما كانا يقومان بتجميع المنتوجات الصحراوية وإرسالها إلى شركائهما بتلمسان[3].

وكانت هاته المبادلات تتم عن طريق الشريك المقيم بسجلماسة (عبد الرحمان)، والذي كان يلعب دور الوسيط بينهما، فكان يقوم باستقبال البضائع الواردة إليه من الشمال الإفريقي وأوربا عن طريق شركائه بتلمسان، وإيفادها إلى إيوالاتن، أين يتم تسويقها في السودان الغربي، وفي المقابل أيضا كان يقوم باستقبال البضائع الواردة إليه من شركائه بإيوالاتن وإرسالها إلى شركائه بتلمسان أين يتم تسويقها في شمال إفريقيا وأوربا[4]، ويختصر المقري مهمة المقيم بسجلماسة بقوله : « (...) والسجلماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان، ويكاتبهما بأحوال التجارة وأخبار البلدان (...) »، وعن الأرباح الطائلة التي كان أجداده يجنونها من وراء مزاولتهم للتجارة مع مملكة مالي الإسلامية يقول المقري : « (...) فخرجت أموالهم عن الحد، وكادت تفوق الحصر والعد (...) »[5].

---

(1) الحاج محمد بن رمضان شاوش : المرجع السابق، ص 340.
(2) المقري : المصدر السابق، ج 5، ص 205.
(3) محمد بن عمرو الطمار : المرجع السابق، ص 205.
(4) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص 154.
(5) المقري : المصدر السابق، ج 5، ص 206.

خـــــــــاتـمـة

تعد مملكة مالي الإسلامية من أعظم ممالك السودان الغربي، التي تأسست في أوائل القرن 7هـ / 13م، ومن خلال دراسة الجانب السياسي للملكة نجد أن مملكة مالي قد أعطت نموذجا لتكوين الدولة المسلمة في غرب إفريقيا، حيث نلحظ الحضور الإسلامي في كافة مجالاتها السياسية، والتي تميزت بالأمن والاستقرار.

وعلى ذلك بدأ التحول التدريجي في المجتمع المالي، هذا الأخير الذي كان يقوم على عصبية قبلية وعرقية، فكان انتشار الإسلام نذيرا بتهاوي النظام الطبقي الذي كان مهيمنا على المجتمع وزوال الفوارق الاجتماعية فيه، داعيا إلى المساواة والأخوة والتعاون بين الأفراد.

هذا وقد انعكست حالة الأمن والاستقرار السياسي في المجتمع المالي على ازدهار الحياة الاقتصادية بالمملكة، وتأتي في مقدمتها الزراعة، أين توجه الكثير من أهل المملكة نتيجة لذلك إلى الزراعة وخدمة الأرض، أما في المجال الصناعة فقد كان لأهل المملكة تقاليد إسلامية خاصة بهم، وهو ما أدى إلى تطوير صناعاتهم، فبرز العديد من الصناع والحرفيين، واتسعت بذلك الحركة التجارية ولاقت رواجا وشهرة كبيرتين، حيث أصبحت المراكز التجارية بالمملكة أسواقا يؤمها التجار، وملتقى للقوافل التجارية المارة عبر الصحراء الكبرى.

وبعد فقد آن أن نقف على أهم الاستنتاجات التي خرجنا بها من هذا البحث والمتمثلة في :

ـ لولا الروايات التاريخية للرحالة، والمؤرخين، والجغرافيين العرب الذين ارتادوا بلاد السودان، وخبروا أحوال أهلها، لما أمكن لنا استسقاء المادة التاريخية لدراسة تاريخ مالي الباهر في العصور الوسطى.

ـ لا يخلو تاريخ مملكة مالي من الأحداث الخيالية، والحكايات الأسطورية على غرار قصة نبات الذهب، ... وغيرها من القصص.

ـ بالرغم من الأساطير الحافل بها تاريخ مالي إلا أنه من شأنها إلقاء مزيدا من الضوء على طبيعة النظم المطبقة بها.

ـ استطاع ملوك مالي إنشاء إمبراطورية مترامية الأطراف، تميزت بنظم مستقرة للحكم وأنظمة إدارية على الطريقة الإسلامية.

ـ الشيء الملاحظ أن معظم الأسر الحاكمة في السودان الغربي تدعي النسب إلى الأصول العربية الشريفة، منهم سلاطين مالي الذين نسبوا أنفسهم إلى أنهم من ذرية عبد الله بن صالح بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وذلك لإضفاء صبغة شرعية لحكمهم تخدم بالدرجة الأولى تطلعاتهم السياسية.

ـ لم تكن الحركة التوسعية التي قام بها ملوك مالي في مجملها تهدف إلى نشر الإسلام، بقدر ما كانت مخطط سياسي يخدم مصالحهم تحت غطاء الشرعية الإسلامية.

ـ نالت المرأة في مملكة مالي دورا سياديا من قبل انتشار الإسلام، باعتبارها العنصر الثابت في المجتمع، ومارست حرياتها بطرقها الخاصة، وبمجيء الإسلام حافظ على مكانة المرأة، ومارست حريتها وفق ما يمليه الشرع الإسلامي.

ـ كأي مجتمع آخر ظهر في المجتمع المالي عادات حسنة، وأخرى سيئة.

ـ استطاع الإسلام القضاء على بعض العادات والأفعال السيئة كسفور المرأة، وعادة العري المستشرية، وبعض المعاملات اليومية السنية، كالربا، وعدم الوفاء بالعهود من خلال نبذه لكل ما هو منافي للطبيعة البشرية.

ـ هناك العديد من المظاهر الاجتماعية التي شكلت حجر عثرة في تواصل مسيرة الإسلام بمملكة مالي، حالت دون انتشاره، وترسخه عند أهل المملكة كما هو الحال بالنسبة لبلاد المغرب، ومصر.

ـ عملت الجالية المغربية بمملكة مالي على إدخال نظم اجتماعية إسلامية جديدة للمملكة ويظهر ذلك من خلال تأثرهم بطريقة الزواج، وكذا طريقة تربية الأبناء، بالإضافة إلى أنهم أدخلوا فئة جديدة من المولدين نتيجة اندماجهم مع السكان الأصليين.

ـ توفرت مملكة مالي على عدد من الأراضي الخصبة، وعذوبة المياه بمرور الوقت، وهو ما جعلها تتجه إلى مزاولة الزراعة التي شهدت تطورا ملحوظا، كان للمغاربة دور كبير فيه، كما أن المملكة اِحتوت على ثروة حيوانية معتبرة.

ـ وجدت الصناعة في مملكة مالي منذ زمن قديم ممثلة في مجموعة من الحرف، وقد شهدت تطورا ملحوظا في هذا المجال نتيجة اِحتكاك أهل المملكة بغيرهم من الدول الإسلامية في بلاد المغرب ومصر خصوصا.

ـ كان للعلاقات التجارية العربية ـ الإفريقية الأثر الأكبر في نشر الإسلام في مملكة مالي، ونقل معالم الحضارة العربية الإسلامية إلى شعوبها.

ـ بروز كوكبة من المدن الكبيرة، التي كانت بمثابة مراكز تجارية بامتياز، فضلا من كونها منارات للعلم، والثقافة.

ـ ارتبط ازدهار المراكز التجارية بالمملكة بالنشاط التجاري، وهو ما يفسر مدن كبرى على امتداد شبكة الطرق التجارية، التي بتحولها عبر مختلف الحقب أدى إلى اختفاء مراكز، وبروز مراكز جديدة.

ـ ترجمت شبكة الطرق التجارية، ونوعية السلع المتبادلة عمق العلاقات التجارية بين مملكة مالي وغيرها من دول الإسلام.

ـ لعب الطوارق الدور الأكبر في تنشيط الحركة التجارية بين ضفتي الصحراء، أين مثلوا ثقل سياسي، واقتصادي ما كانت المبادلات التجارية لتتم لولاهم، وذلك من خلال خبراتهم في المسالك الصحراوية.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نذكر أن تاريخ أفريقيا بصفة عامة في العصور الوسطى، لم يحظ لحد الآن بحقه، ويتطلب من الباحثين مزيدا من الاهتمام، والدراسة، والمناقشة التي من شأنها تسليط الضوء أكثر على الممالك، الإمبراطوريات التي قامت في السودان الغربي، وبالرغم من الجهد المبذول من قبلنا، فإننا نجد أن هذا الموضوع وغيره من المواضيع المتعلقة بتاريخ أفريقيا جنوب الصحراء في حاجة إلى مزيد من الدراسة، والبحث.

ونتمنى أن نكون قد أفدنا الدارسين بهذا العمل، الذي هو محاولة متواضعة لنفض الغبار عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمملكة مالي الإسلامية، ويبقى هذا العمل قابل للنقد والتوجيه.

الـمـــــــلاحق

الملحق رقم :(01)[1]

ترتيب سلالات مانسا مالي حسب ابن خلدون

ملاحظة : الأسماء بين قوسين مستقاة من الروايات الشفوية

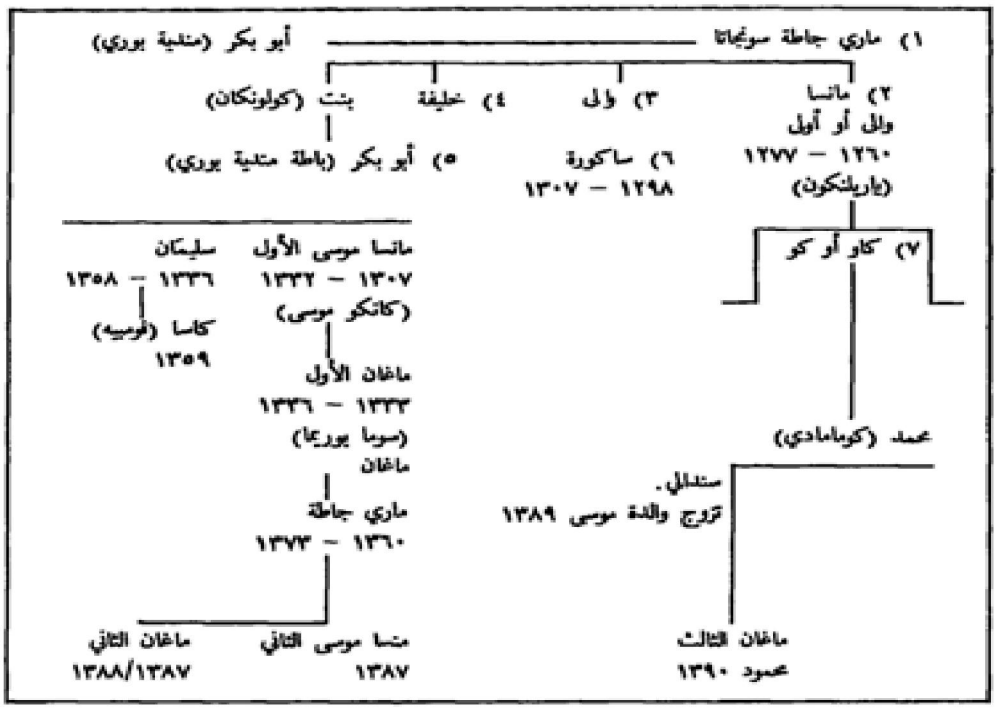

هكذا حدّد موريس ديلافوس مدد حكم سونجاتا مانسا موسى[٦٢] .

سونجاته	١٢٣٠ – ١٢٥٥
مانسا ولين	١٢٥٥ – ١٢٧٠
والي	١٢٧٠ – ١٢٧٤
خليفة	١٢٧٤ – ١٢٧٥
أبو بكر	١٢٧٣ – ١٢٨٥
ساكورة	١٢٨٥ – ١٣٠٠
كاو	١٣٠٠ – ١٣٠٥
محمد	١٣٠٥ – ١٣١٠
مانسا موسى	١٣١٢ – ١٣٣٧

(٦٢) بما أن ابن خلدون جعل مدة حكم مانسا موسى ٢٥ سنة فقد وجب التصحيح وتحديد مدة حكمه فيما بين ١٣٠٧ و١٣٣٢. أنظر ج. كوك، ١٩٧٥، ص ٣٤٣ – ٣٤٦.

[1] نياني (ج. ت) : المرجع السابق ، ص 159.

الملحق رقم : (02)[1]

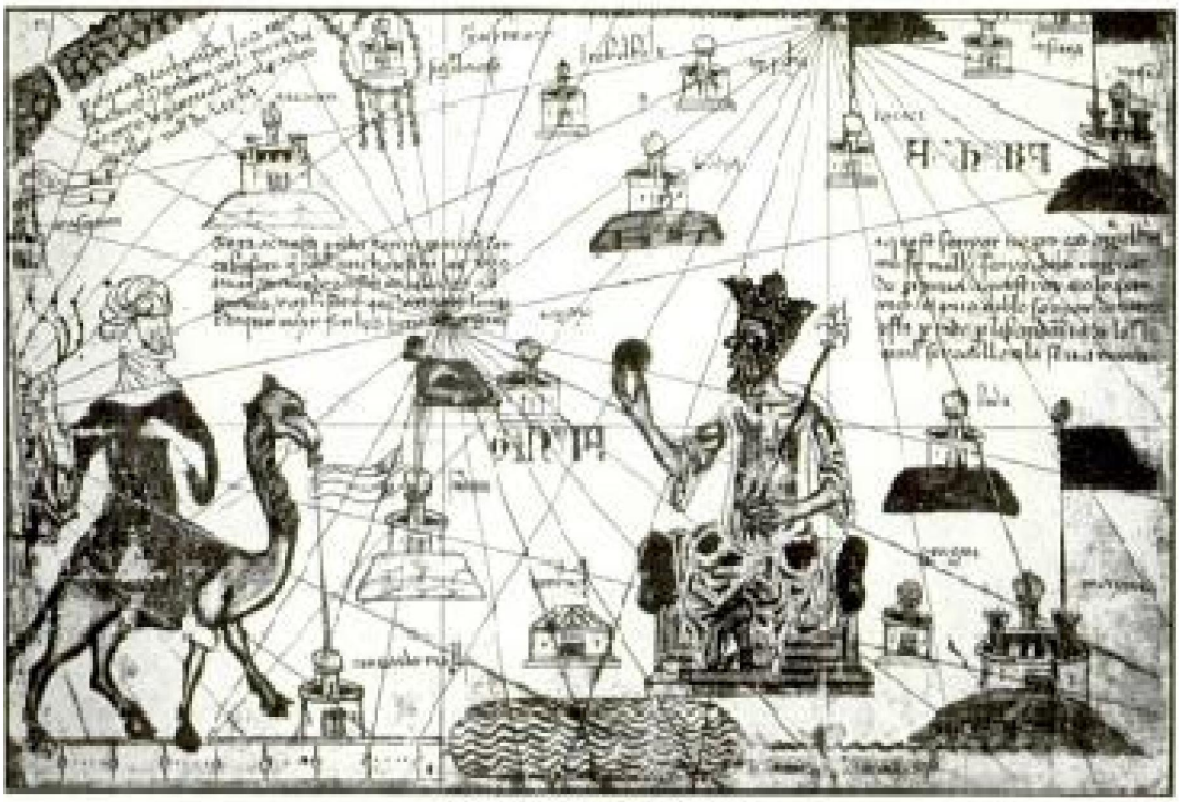

الرسم يمثل منسا موسى ملك مالي عن الخارطة الكروية لدولسير (Dulcert) عام 1339.

[1] Said Hamdun& Noël King : **Ibn Battuta in Black Africa**, Library of Congress Cataloging –in-Publication Data, London, 1975, p 32.

الملحق رقم : (03)[1]

صورة توضح مسجد سنكري الذي بناه أبو إسحاق الساحلي

(1) David C. Conrad : op. cit, p 40.

الملحق رقم : (04)[1]

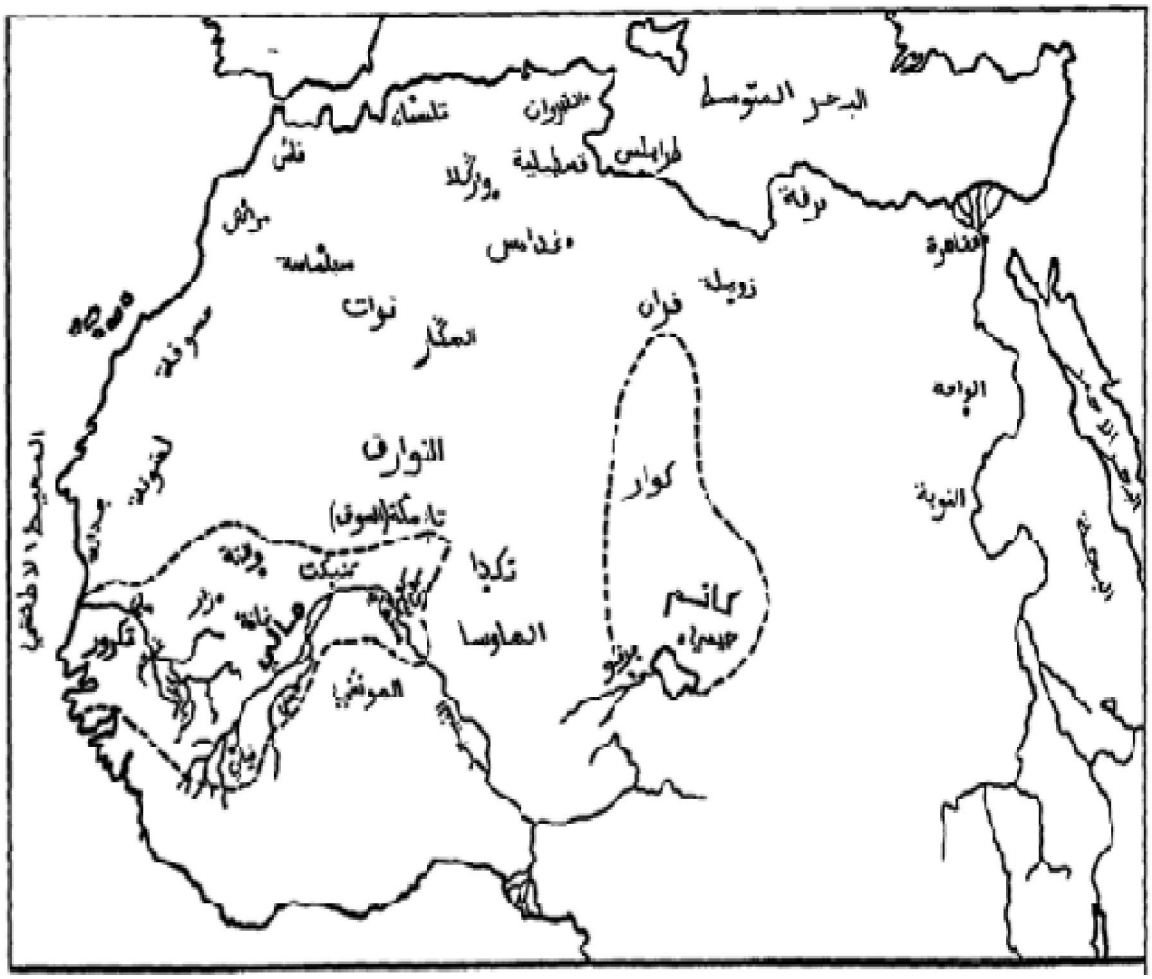

خريطة تمثل موقع مملكة مالي الإسلامية

[1] أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 189.

الملحق رقم : (05)[1]

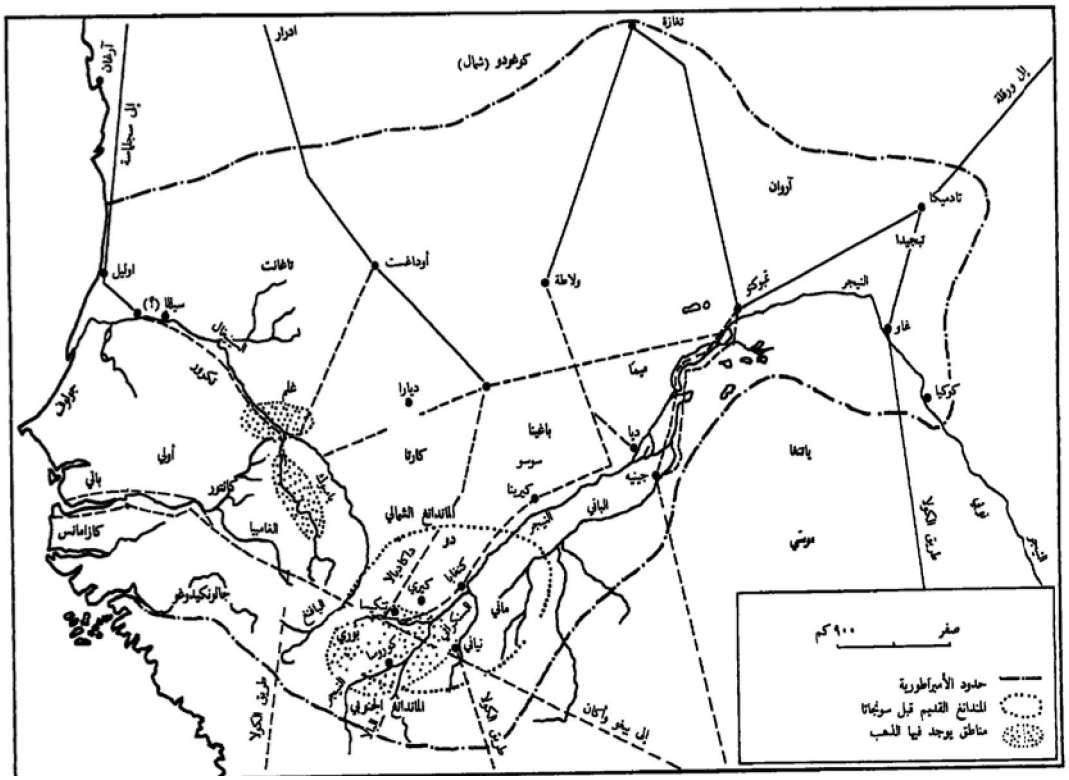

خريطة تبين مراكز تركز الذهب

[1] نياني (ج ت) : المرجع السابق، ص 162.

الملحق رقم : (06)[1]

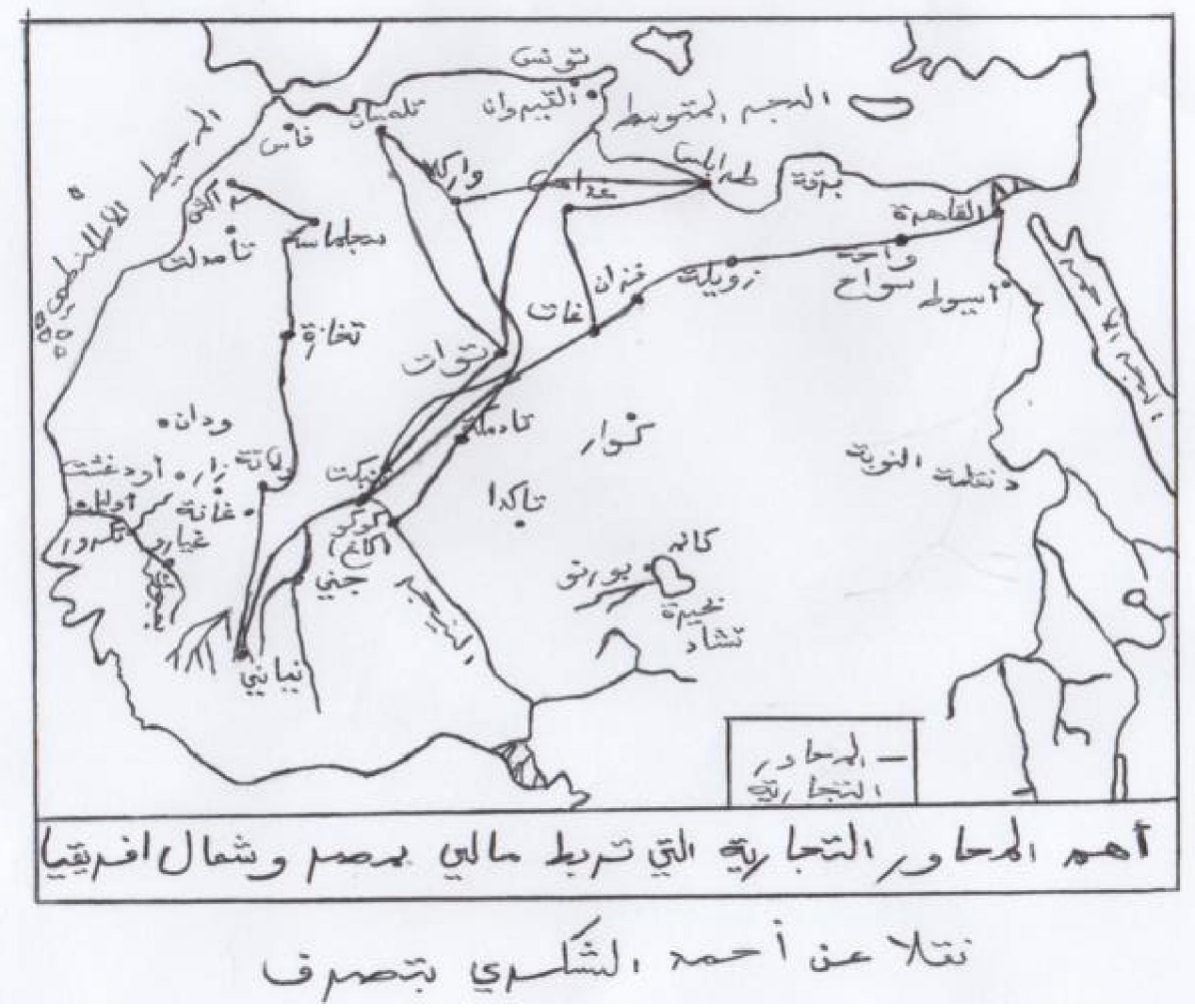

[1] أحمد الشكري : المرجع السابق، ص 61.

فهرس
المصادر
والمراجع

أولا – المصادر :

- القرآن الكريم : برواية ورش عن نافع .

01 / المصادر المخطوطة :

- الأرواني أحمد بابير : السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية مخطوط، د. ر، المكتبة الزيدانية، نيامي، النيجر.
- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي : التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا مخطوط، د. ر، جامعة الملك سعود، 1957.

02 / المصادر المكتوبة :

- ابن أبي بكر الجزري القريشي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت. 838هـ) : تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط $_1$، 1419هـ / 1998م، ج $_1$.
- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللواتي الطنجي : رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المطبعة الأزهرية، مصر، ط $_1$، 1322هـ، ج $_2$.
- ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمان (ت. 597هـ) : تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق، مرزوق علي إبراهيم، تقديم، حكمت بشير، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، ط $_1$، 1419هـ / 1998م.
- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد (ت. 852) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، 1414هـ / 1993م، ج $_4$.
- ابن إياس الحنفي المصري محمد بن أحمد : المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، 1960.
- ابن حوقل أبي قاسم : المسالك والممالك، جمع الإمام العالم أبي القاسم محمد الحوفلي البغدادي، مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1873م.

- ابن كثير الدمشقي أبو الفداء الحافظ (ت. 774م) : البداية والنهاية، تخريج وتحقيق، أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، مج 7، ج 14.

- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، تحقيق، عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ج 1.

- ابن الخطيب لذي الوزارتين لسان الدين : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1393هـ / 1973م، مج 1.

- ابن خلدون عبد الرحمان : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ / 2000م، ج 5، ج 6، ج 7.

- الإدريسي الشريف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الظاهر، مج 1.

- الإسطخري أبي إسحاق الفارسي : كتاب الأقاليم، طبع طباعة حجر، غوتا، 1839م.

- البكري أبي عبيد : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

- الداوادري أبي بكر بن عبد الله بن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق، هانس روبرت رويمر، ج 9.

- الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد (ت. 760هـ) : طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق، إبراهيم طلاي، ج 2.

- الهمذاني أبي بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان، مطبع بريل، مدينة ليدن المحروسة، 1302.

- الوزان الفاسي الحسن محمد المعروف بليون الإفريقي : وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 2، 1983.

- الولاتي أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي : فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1401هـ / 1981م.

- الوردي المعري الشافعي زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن أبي الفوارس : تاريخ ابن الوردي واسمه تتمة المختصر في أخبار البشر، ج 2.

- الحموي الرومي البغدادي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان، دار صادر بيروت، مج 2.

- الحميري محمد بن عبد المنعم : الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصلح، بيروت، ط 1، 1975، ط 2، 1984م.

- الطبري أبي جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1387هـ / 1967م، ج 1.

- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي : تاريخ اليعقوبي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1379هـ / 1960م، مج 1.

- اليافعي اليمني المكي أبي محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت. 768هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1417هـ / 1997م، ج 4.

- كعت محمود بن الحاج المتوكل كعت الكرمني التنبكتي الوعكري : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذيله لبعض من حفدته، المدرسة الباريزية، باريس، 1961.

- المسعودي أبي الحسن علي بن الحسين بن علي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، 1989م، مج 1.

- المقري التلمساني أحمد بن محمد : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ / 1988م، مج 2.

- المقريزي تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي : السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1418هـ / 1997م، ج 3 سنة 718هـ - 745هـ .

- ـــــ، ـــــ : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق، جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط 1، 1420هـ / 2000م.

- المغربي أبو الحسن علي بن يوسف بن موسى بن سعيد : كتاب الجغرافية، تحقيق وتعليق، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 1982م.

- الناصري أبو العباس أحمد بن خالد : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة السعدية، تحقيق وتعليق، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، الإسكندرية، 1955، ج 5.

- السيوطي الحافظ جلال الدين عبد الرحمان : حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، (1387هـ - 1968م)، ج 2.

- السعدي عبد الرحمان عبد الله بن عمران بن عامر : تاريخ السودان، مدرسة اللغة العربية، باريس، 1981م.

- العمري ابن فضل الله شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحي (ت. 749هـ) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وأفريقيا)، تحقيق، محمد عبد القادر خريسات، عصام مصطفى هزايمة، يوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، 2001، ج 4.

- ـــــ، ـــــ : التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق وتعليق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1408هـ / 1988م.

- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت.

- القلقشندي أبي العباس أحمد : صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م، ج 5.

- الشنقيطي أحمد بن الأمين: الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مطبعة حارة الروم، منطقة التري، مصر، ط 1، 1339هـ.

- الشريشي أبي العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي : شرح مقامات الحريري، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1413هـ / 2001م، ج 1.

- التونسي محمد بن عمر : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق، خليل محمود عساكر، مصطفى محمد مسعد، مراجعة : محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، القاهرة، 1965م.

- التلمساني محمد بن مرزوق : المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم، محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ - 1981م.

- الذهبي شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان : دول الإسلام (673 – 748هـ)، تحقيق وتعليق، حسن إسماعيل مروة، تقديم، محمد الأرناؤوط، دار صادر، بيروت، لبنان، ط $_1$، 1999م، ج $_2$.

- مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر، وبلاد المغرب من كتاب القرن السادس الهجري (12م)، تعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة.

ثانيا – المراجع :

01/ المراجع العربية :

- أوليفر رونالد وجون فيج : تاريخ افريقية من الشرق والغرب، تاريخ افريقية من الشرق والغرب، ترجمة، عقيلة محمد رمضان، مراجعة، أحمد الصوار، الدار القومية للطباعة والنشر، 20 ماي 1964م.

- أرنولد. و. توماس : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة وتعليق، حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، ط $_1$، 1947م.

- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق شوقي الجمل : تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة، القاهرة، 1996م.

- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق : المسلمون والاستعمار الأوربي لأفريقيا، إشراف، أحمد مشاري العدواني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، شعبان 1998.

- بولم دنيس : الحضارات الأفريقية، ترجمة، علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1974.

- بوعزيز يحي : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، دار هومة، بوزريعة، الجزائر.

- بانيكار ك. مادهو : الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب افريقية، ترجمة وتحقيق وتعليق، أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، ط $_2$، 1998م.

- برايما باري عثمان : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة، ط $_1$، 1421هـ - 2000م .

- جوزيف جوان : الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء، ترجمة، مختار اليوسفي، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط $_1$، 1404هـ - 1984م.

- جلال السيد حسين : تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطية، الإسكندرية، 2004م .

- جعفري مبارك بن الصافي : العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن12هـ، دار السبيل، الجزائر، ط $_1$، 1430هـ / 2009م.

- دندش عصمت عبد اللطيف : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430 - 515هـ / 1038 – 1121م، مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر بن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط $_1$، 1408هـ / 1988م.

- الدالي الهادي المبروك : التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط $_1$، ربيع الثاني 1420هـ / أغسطس 1999م.

- دافيدسون باسيل : إفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة، نبيل بدر، سعد زغلول، مراجعة، محمد شوقي الكبال، الدار القومية، 2001م.

- هوبكنز أ. ج : التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية، تقديم، محمد عبد الغني سعودي، ترجمة، أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م.

- هوارد. س : أشهر الرحلات في غرب إفريقيا، ترجمة ودراسة، عبد الرحمان عبد الله الشيخ، جوبسون، بوسمان، لوكاس، الشبيبي المصري، بارك، هورنان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م، ج 1.

- هاو روسيل وورين : تاريخ الإسلام في غرب إفريقيا، ترجمة، عبد الوهاب محمد الزناتي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2008.

- هلال عمار : الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، 1984م.

- ويدز رونالد : تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة، راشد البراوي، مكتبة الوعي العربي، دار المعارف، لبنان، 2001.

- واصف بك أمين : الفهرست معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق، أحمد ذكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، دار المصري للطباعة، بور سعيد الظاهر.

- زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989.

- ـــــ، ـــــ : دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2010م.

- ـــــ، ـــــ : مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين 1493 - 1591، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- الزتاتي أنور محمود : عجائب البلدان من خلال دراسة مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب لسراج الدين بن الوردي، (غير مرقون)، جامعة عين شمس.

- حبيب شوقي عبد القوي عثمان : التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر سلاطين المماليك (648 -922 هـ / 1250 - 1517م)، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.

- حلاق حسان : تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 2000م.

- حسن حسن إبراهيم : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1963م.

- الحريري محمد عيسى : تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ / 1213م) (869هـ / 1465م)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط 1، 1405هـ / 1985م، ط 2، 1408 هـ / 1987م.

- ـــــ، ـــــ : الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي (حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس) (160هـ - 396هـ)، دار القلم، ط 3، 1408هـ - 1987م.

- حركات إبراهيم : المغرب عبر التاريخ عرض أحاث المغرب وتطوراته في الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر (ق 14 هـ - 20 م) ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 2، 1398هـ / 1978م، مج 2 من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين.

- طاهر أحمد : إفريقيا فصول من الماضي والحاضر، دار المعارف، القاهرة، 1997م.

- الطيبي أمين توفيق : دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997، ج 2.

- الطمار محمد بن عمرو : تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- يحي جلال : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م.

- ياغي إسماعيل أحمد، محمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر (قارة إفريقية)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1413هـ / 1993م، ج 2.

- كربخال مارمول : إفريقيا، ترجمة، محمد حجي، محمد زينبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد نيجلون، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1984، ج 1، ج 3.

- لويد ب. س : إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، ترجمة، شوقي جلال، عالم المعرفة، أبريل 1980م.

- مؤنس حسين : أطلس التاريخ الإسلامي، الزهراء للإعلام العربي، مدينة نصر، القاهرة، ط 1، 1407هـ / 1987م.

- ـــــ، ـــــ : ابن بطوطة ورحلاته، تحقيق ودراسة وتحليل، دار المعارف، القاهرة، 1980.

- محمد ظاهر جاسم : دراسات تاريخية في العلاقات العربية الإفريقية، دار شموع الثقافة، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط $_1$، 2003.

- محمد نبيلة حسن : في تاريخ إفريقيا الإسلامية (انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري)، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطية، 1429هـ / 2008م.

- ـــــ، ـــــ : في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطية.

- ماكيفيدي كولين : أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة، مختار السويفي، مراجعة، محمد الغرب موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

- المنجد صلاح الدين : مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، مجموعة نصوص جمعها وعلق عليها، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1406هـ / 1982م.

- مسعود جمال عبد الهادي محمد، جمعة وفاء محمد رفعت : إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا، دار الوفاء، ط $_3$، 1991م.

- مقدم مبروك : الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربية خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر للهجرة الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر للميلاد، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002، ج $_1$.

- النحوي الخليل : إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلام، بيروت، لبنان، ط $_1$، 1993.

- ـــــ، ـــــ : بلاد شنقيط المنارة .. والرباط، عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (المحاضر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987م.

- سامعي إسماعيل : معالم الحضارة العربية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2007م.

- السرجاني راغب : الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي، إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط 1، 1426هـ / 2005م، ج 2.

- ستودارد لوثروب الأمريكي : حاضر العالم الإسلامي، ترجمة، عجاج نويهض، وفيه فصول وتعليقات وحواش مستفيضة عن دقائق أحوال الأمم الإسلامية وتطورها بقلم أمير البيان والمجاهد شكيب أرسلان، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، ط 4، 1394هـ / 1973م، مج 2، ج 3.

- عبد اللطيف علي محمد : تمبكتو أسطورة التاريخ، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط 1، 2001.

- عبد الظاهر حسن عيسى : الدعوة الإسلامية في غرب إفريقية وقيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي، مدينة نصر، القاهرة، ط 1، 1412هـ / 1991م.

- العدوي إبراهيم : تاريخ العالم الإسلامي (عصر البناء والانطلاق)، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، 1425هـ / 2005م.

- العربي إسماعيل : حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.

- ـــــ، ـــــ : الصحراء الكبرى وشواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب، زيغود يوسف، الجزائر، 1983م.

- عثمان حامد : المسلمون في العالم قضايا وتحديات، دار إقرأ، طرابلس، ط 1، شعبان 1399هـ / 1990م، ج 1.

- فيج. جي. دي : تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة، السيد يوسف نصر، مراجعة، بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1982م.

- الفيتوري عطية مخزوم : دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة اِنتشار الإسلام)، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط 1، 1998م.

- فياض سليمان : ابن بطوطة رحالة الإسلام، رسوم إسماعيل دياب، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1406هـ / 1986م، ط 2، 1412هـ / 1991م.

- الفلاني الطيب عبد الرحيم محمد : الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنموية في السودان، 1 الفلاتة، 2 الهوسا، 3 البرنو، 4 الأنصار، 5 الفلاتة وشمال السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، ط $_1$، 1415هـ / 1994م.

- فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مع تحقيق كتاب القول البسيط في أخبار تمنطيط (لمحمد بن بابا حيدة)، إشراف، أبو القاسم سعد الله، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م.

- الفاروقي إسماعيل راجي، لوس لمياء الفاروقي : أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة، عبد الواحد لؤلؤة، مراجعة، رياض نور الله، مكتبة العبيكان، المعبد العالمي للفكر الإسلامي.

- قداح نعيم : حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط $_2$.

- قاسم جمال زكريا : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1416هـ - 1996م.

- شاوش الحاج محمد بن رمضان : باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

- الشكري أحمد : الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي 1230 – 1430م، المجمع الثقافي، أبوظبي، الإمارات، ط $_1$، 1999م.

- شاكر محمود : التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر غربي إفريقية، المكتب الإسلامي، 1346 – 1416هـ / 1962 – 1994م، بيروت، دمشق، عمان، ط $_2$.

- شقرون محمد : الإسلام واحدا ومتعددا، الإسلام الأسود جنوب الصحراء الكبرى، إشراف، عبد المجيد الشرفي، رابطة العقلانيين العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط $_1$، كانون الثاني (يناير) 2007م.

- التازي عبد الهادي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1987، مج $_7$ (عهد بني مرين والوطاسيين).

- غيث أمطير سعد : التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد، بنغازي، ط 1، 1996م.

- الغربي محمد : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي نشأته وآثاره، إشراف، نقولا زيادة، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ج 1.

- اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام (اليونسكو) : تاريخ إفريقيا العام، إشراف، جبريل. ت نياني، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، 1988م، مج 4 (أفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر).

- طائفة من أساتذة الجامعات البريطانية : فجر التاريخ الإفريقي، كتب ثقافية قديمة، ترجمة، عبد الواحد الأمبابي، مراجعة، محمد عبد العزيز إسحاق، 1962.

- القاموس الإسلامي للناشئين والشباب : انتشار الإسلام في إفريقيا، إعداد، محمد علي الهمشري، السيد أبو الفتوح، علي إسماعيل موسى، مكتبة العبيكان، دار أركان، الرياض، ط 1، 1418هـ / 1997م، ج 11.

02 / المراجع الأجنبية :

- A . Le Chattelier : l`Islam dans l`Afrique occidentale, G. Steinheil éditeur, Paris, 1899.

- André Miquel : Islam et civilization destines du monde XII^{e} XX^{e} siecles, libraire Armand colin, 1968.

- Bovill Edward William : the golden trade of the moors, west African kingdoms in the fourteenth century, oxford university press, London, 1958.

- Cornevin Robert : Histoire de l`Afrique, imprimerie bussiére, Paris, 1962, Tome 2.

- Cheikh Anta diop : Pre-colonial black Africa, Acomparative study of the political and social systems of Europe and black Africa from

Antiquity to the formation of Modern state, Lawrence hill and company, 2010.

- Conrad David. C : Great empires of the past, Empires of Medieval west Africa Ghana, Mali, and Songhai, chelser house publishers.

- Dubois Felix : Tombouctou the mysterious, translated from the French by : Diana uhite, with one hundred and fifty, long mans, ANDCO, New-York, three illustrations, 1896.

- Hunwick John : Timbuktu & the Songhai empire, Al- Sadi`S Tarikh- Sudan, down to 1613 Eother contemporary documents Brill.

- John O. lgué : les villes procolonials d'Afrique noire, les villes anciennes du Mali, éditions karthala, 2008.

- Quellien Alain : la politique musulmane dans l'Afrique occidentale française, emile larose, libraire-éditeur, Paris, 1910.

- Maurice Delafosse : Les Noirs de l'Afrique, collection payot f c[i.e.], Paris, 1922.

- ——, —— Haut- Sénégal-Niger (Soudan français), L'histoire, Libraire – éditeur, Paris, 1912, tome 2.

- ——, —— les civilisations negro – africaines, libraire stock, Paris, 1925.

- Suret Jean : histoire africaine de la traite des noire au néocolonialisme, édition sociales, 1914.

- Said Hamdun & Noël King : Ibn Battuta in Black Africa, Library of Congress Cataloging – in-Publication Data, London, 1975.

- Gouvernement générale de l'Afrique occidentale française, Notice sur la région de Tombouctou, imprimerie du gouvernement, Saint-Louis, 1896.

- Lieutenant louss desplagnes, le plateau centrale nigérien, une mission Archéologique et ethnographique au soudan français, mile larose, libraire-éditeur, Paris, 1907.

03 / الرسائل الجامعية :

- بن عمر حاج عيسى إلياس : مدينة وارجلان - دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (في الفترة 4 – 10هـ / 10 – 16م)، رسالة ماجستير، إشراف عبد العزيز لعرج، جامعة الجزائر، 1429 - 1430هـ / 2008 - 2009م.

- جاجوا حسين : دور غدامس التجاري ما بين طرابلس والسودان الأوسط والغربي خلال 1850 - 1881، أطروحة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، إشراف، عبد القادر زبادية، جامعة الجزائر، 1401هـ / 1981م.

- الملاح بشار أكرم جميل : التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الأفريقي من القرن 5 - 9هـ / 11 - 15م، رسالة دكتوراه، جامعة الموصل، 2006م.

- 04 / الدوريات والمجلات والملتقيات :

- دورية كان التاريخية الإلكترونية : إصدار دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت، العدد 10، السنة الثالثة، ديسمبر (كانون الأول) 2010م / ذو الحجة 1431هـ، والعدد 14، السنة الرابعة، ديسمبر 2011م.

- مجلة الأصالة : وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية، الدراسات الاقتصادية، العدد 41، 1977م.

- دعوة الحق : سلسلة شهرية تصدر مع مطلع كل شهر عربي، مطبوعات رابطة العالم الإسلامية.

- مجلة دعوة الحق : مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد 277، جمادى الأولى 1410 - دجنبر1989م.

- مجلة كلية الدعوة الإسلامية : مجلة إسلامية ثقافية تصدر سنويا، طرابلس، العدد الرابع، 1397 - 1987.

- مجلة المؤرخ العربي : مجلة تصدرها الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، العراق، بغداد، العدد الخامس، 1978.

- حولية المؤرخ : يصدرها إتحاد المؤرخين الجزائريين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر، العدد الأول، 2002م.

- مجلة التاريخ العربي : تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، العدد الخامس عشر، صيف 2000.

- أعمال المهرجان الثقافي الإفريقي الأول : الثقافة الإفريقية، ملتقى الجزائر، 21 يوليو / أغسطس 1969م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1404هـ / 1984م.

- طريق القوافل : منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، مطابع عمار قرفي، باتنة الجزائر، 2001م.

فهرس
الموضوعات

شكر وعرفان

مقدمة.....01 – 04.

الفصل الأول : مملكة مالي النشأة والتطور.....05 - 33.

المبحث الأول : التعريف بمملكة مالي الإسلامية.....05 – 11.

المطلب الأول : أصل التسمية والموقع الجغرافي.....05 – 08.

المطلب الثاني : تأسيس المملكة.....08 – 11.

المبحث الثاني : نظام الحكم وأشهر السلاطين.....11 – 33.

المطلب الأول : نظام الحكم والإدارة.....11 – 19.

المطلب الثاني : أشهر السلاطين.....19 – 33.

الفصل الثاني : الحياة الاجتماعية في مملكة مالي الإسلامية.....34 – 67.

المبحث الأول : السكان.....34 – 47.

المطلب الأول : أصل السكان.....34 – 37.

المطلب الثاني : الطبقات الاجتماعية.....37 – 43.

المطلب الثالث : المسكن.....43 – 47.

المبحث الثاني : الحياة الأسرية ومكانة المرأة.....47 – 56.

المطلب الأول : الحياة الأسرية.....47 – 49.

المطلب الثاني : تربية الأبناء.....49 - 53.

المطلب الثالث : مكانة المرأة.....53 – 56.

المبحث الثالث : العادات والتقاليد .....56 – 67.

المطلب الأول : الأطعمة والأشربة.....56 – 58.

المطلب الثاني : لباس أهل مالي واحتفالاتهم في المناسبات.....58 – 64.

المطلب الثالث : العادات الحسنة والسيئة.....64 – 67.

الفصل الثالث : الحياة الاقتصادية في مملكة مالي الإسلامية.....68 – 108.

المبحث الأول : الفلاحة.....68 – 78.

المطلب الأول : طرق الزراعة وأساليب الري.....68 – 70.

المطلب الثاني : أهم المحاصيل الزراعية.....70 – 74.

المطلب الثالث : الثروة الحيوانية.....74 – 78.

المبحث الثاني : الصناعة.....78 – 83.

المطلب الأول : أهم المواد الأولية.....78 – 80.

المطلب الثاني : أهم الحرف.....80 – 83.

المبحث الثالث : التجارة.....83 – 108.

المطلب الأول : أهم المراكز التجارية.....83 – 88.

المطلب الثاني : السلع والبضائع.....88 – 96.

المطلب الثالث : أهم الطرق التجارية.....96 – 101.

المطلب الرابع : نظم التبادل التجاري.....102 – 108.

خاتمة.....109 – 111.

ملاحق.....112 – 117.

فهرس المصادر والمراجع.....118 - 133.

فهرس الموضوعات.....134 – 135.